

نصوص من كلام الصاحب ابن عباد

أكثر آثار الصاحب فقدت ، وقليل منها لا يزال مخطوطاً كديوان شعره والمختار من ديوان رسائله ، وما طبع من نثره وشعره مفرق في كتب الأدب والتراجم على سبيل الاستشهاد والاختيار لا يجمعه كتاب خاص ، والاطلاع عليه يقتضي تصفح كثير من الكتب ويستغرق زمناً طويلاً . لذلك فقد جمعت في هذا الفصل كل ما اتيج لي العثور عليه مما يجوز نشره من نثره وشعره المبثوث في كتب الأدب . أما المختار من ديوان رسائله فقد انتقيت طائفة منه وأرجو أن أوفق إلى طبعه على حدة .

رسول الله

خيرة الله من خلقه ، والهادي إلى حقه ، والمنبه إلى حكمه ، والداعي إلى رشده ، والوئيد من عنده ، والمحتج به على جنه وانسه . مختار من أكرم المنابت ، منتخب من أشرف العناصر ، مرتضى من أعلى المحاند ، موثر من أعظم العشائر ، معتمد من انغم القبائل ، معضود بالمعجزات الغر ، مرفود بالدلالات الزهر ، لا تنخبو

ناره ، ولا يوضع مناره ، ولا يتحيف سناه وسناؤه ، هدي به الخلق
من ضلالة سوداء دهماء ، وعلوا به من جملة قرباء جهلاء ، مبارك
مولده ، سعيد موده ، قاطعة حجتة ، سامية درجته ، ساطع صباحه ،
متوقد مصباحه ، مظفرة حروبه ، ميسرة خطوبه ، نسخت بملته الملل ،
وبشرعته الشرع ، وبخلته النحل ، وبكلمته الكلم ، وبامته الامم ، وبسنته
السنن ، وصار العاقب والخاتم ، وانقاطع والجازم ، قدأ فردبالزعامه
وحده ، وختم بالأنبي بعده ، فاستوفت دعوته شرق الارض وغربها ،
ومسحت برالدنيا وبحرها ، واذعنت له سود الرجال وجرها ، وذلت
لعزته صيد الملوك وكبرها ، وصار المخالفون سرآ ، يضطرون الى
اعتزاء اليه جهراً ، يفصح بشعاره على المنابر ، وبالصلاة عليه في
المحاضر ، ونعمر بذكره صدور المساجد والمنابر ، ويستوي في
التطامن لامره حالتا الغائب والحاضر ، والوارد والصادر ،
لم يكتب كاتب الا ابتداء مصلياً عليه ، ولم يختم الا ببرد السلام
والتحية اليه ، كأئهم مسخرون غير موثرين ، ومجبورون غير
متخيرين ، لطفاً من الله جمعهم على فضيلته ، والفهم على جدبته ،
ذلك سيد الاولين والآخرين ، رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
 واصحابه اجمعين .

علي بن ابي طالب

اسلامه سابق ، ومجده باسق ، ومجده باسق ، وذكره نجم طارق ،
وسيفه قدر وبارق ، وعلمه بحر دافق ، وامامته لواء خافق . ونظيره هرون
عند المشاكلة ، وباب المدينة عند المشابهة ، بدر يوم بدر بل شمسه ،
واخو المصطفى بل نفسه ، مصلي القبلتين ، والهاشمي من الهاشميين ،
كفو أشرف النسم ، وأكرم الكرائم في الامم ، نسله أعز نسل ،
وأصله أفضل أصل ، به تحمل المشكلات ، واليه ترجع العضلات ،
ولده الشمس والقمر ، ولولا علي لهلك عمر ، سيفه ام الآجال ، ورمحه
يتم الاطفال ، وحملته رفع السدود ، وصولته كسر البنود ، قوى
الله به ازر المسلمين ، وافشى القتل في المشركين ، قسيم الجنان ،
وباب الرحمة والرضوان ، ثاني اصحاب الكسافي اذهاب الرجس ،
وحامل لواء الحمد عن يمين العرش ، وصاحب الحوض يسقي من شابع
وبابع ، ويمنع من ناصب ونازع ، ذاك أمير المؤمنين صلوات الله
تختص أوصافه عن المشاركة ، وتخلص نعوته عن المزاحمة .

وكتب الى بعض الاشراف معانبا وملاطفاً :

وصل كتابك ايها الشريف اطل الله بقاءك ولكن بعد

ماذا؟ بعد ان كددتك بالعتب الجميع ، وقرعتك بعضا التقريع .
وكان الأ كف قد عصرته بعد كد من ماء وجه البخيل
وما كذا كان الظن بك وخلقك الخلق الرحب ، وانت الحلال
الحلو والبارد العذب ، وقد ينسى المرء ابعد خليليه داراً وحلة ،
وان كان اصدقهم عهداً وخلة ، غير اني لم احسبك ترضى بالرتبة
الدنياقي كرم العهد ، وترعى روضة الهوبنا في صحة العقد ،
فملاّت يدي ثقة ورجاء ، حتى أعدتها عليّ صفرأ خلاء ، وبعد
ذاك فليت شوقي اليك ، على قدر حظي منك ، كلا بل انت خدين
فكري وسميره ، وامين قلبي واميره ، تصرفه كيف احببت ،
وتنقله كيف طلبت ، وتسلمه لتناوب البر والجفاء ، وتلاعب
به كتلاعب الافعال بالاسماء ، فاذا استنزلتك عن كتاب تصدره
انفقت بالمعروف وجدت بالنذر المتفوه حتى كأن بياض قرطاسك
من شبة الحمد ، وسواد انقاسك من سواد الناظر والقلب ، فلا
تفعل جعلت فداك فبغير هذا نزلت السور ، وتليت النذر ، وتكررت
العبر ، وتربعت ربيعة وتمضت مضر ، وآخر دعواي ان كيف شئت
فكن ، وقل اذا عزاخوك فهن ، سقى الله عهدك غيثاً كغزارة فضلك ،
وسلاسة طبعك ، وصفاء ودك ، ولا عاشت المحاسن من بعدك .

وكتب جواباً على عتاب :

التجرم يا سيدي وخليلي دأب من ضاق عطشه عن
الاخلاق السمحة ، وتضائل وده عن الطباع العذبة ، فهو
دائماً يخلق لآخوانه جريرة يصلهم نار عتها ، ويوليهم جانب
عذها ، والحر كل الحر من لحظ احوالهم بعين تجمع الى
النصفة التسمع ، والى المعدلة الترخص ، وان شاهد جيلاً
كثراً قليلاً ، وان صادف تقصيراً حسن قبيحه ، وقد نزهك الله
عن ان تكون معناً وعريضاً تنتهز الفرصة . فما هذا التعدي
الذي علقت اوثق اسبابه ، والتجني الذي ولجت اضيق ابوابه ؟
وقد علم الناس كيف ايثاري اياك واكباري ، وعلمت كيف
اباسطك في خاص احوالي واسراري ، حتى كأننا قضينا الشباب
على تلاوم ، وصافحنا الكهولة عن تنادم ، ومتى كان الاعراض
الذي اشرت اليه ، والانقباض الذي نصصت عليه ، ومن هذا
الواشي الذي يطعم في احالة حالك ولو قدم من الدهر على
رصد ، ونفث من السحر في العقد ، فكيف حسبتني ممن
تستفزه السعاة ، وتهزه الوشاة ؟ انك تستخف حلماً لعل الاطواد
الصم تشهد له بالرزانة ، والجبال الشم تبرا اليه من الرصانة ،

ولكل ذي قلم جانب من البلاغة هو فيه اوسع عناناً ،
وارحب جناناً ، وكنت في العتب افسح مجالاً ، واملاً سجالاً ،
وقد اردت ان اعاتبك عن عتبك فاطيل ، وابدي القول
واعيد ، واذا كر ما في هذا الباب من المدام (التي) تضاد محاسنك ،
وتحاد مناقبك . ثم كفت وصدفت ، واقتصرت وخففت ،
نعم وزعمت انك قد اكثرت علي فسمت ، واطلأت فبرمت ،
ولو شئت لقلت انك اردت تهجينني فبدأت بنفسك ، وتبجيلي
فتحاملت علي فعلك ، اذ قد علم الناس خلاف ما حكيت ،
ودروا اني بمناء مما ادعيت ، اوجب لمن ضمه الي السبب الضعيف
ما يوجب للاخ المشابك في الارومة ، والمشارك في الخوولة
والعمومة ، واني لا الومك على الانقباض لوما يريني فعلك
لوما ، وبودي لو كلفت مع كل صباح نفس حاجات تعاد
الرمل ، وتناسب القطر ، فهذا هذا والقصتان قد وقع فيهما بما
وأيت . وان سألت في الالتماس بأمر من العلقم ، واضر من
الارقم . وكل ذلك نأني به مقبول ، وعلى جانب الانس
محمول ، لا عدمتك .

وكتب يصلح بين الاشراف العلوية بقزوين :

كتابي اطل الله بقاء الشرفين سيدي وكيري عن
سلامة مولانا الامير المؤيد الدولة وانتظام امور سلطانه ،
وعافيتي بدولته وعلو شأنه ، والحمد لله رب العالمين وصلاته على
خيرته ، محمد وعترته . وقد علم الشريفان ان الصلاح تجتمع اطرافه ،
وتحرس اكنافه ، باطراح الضغائن ، ونسوية الظواهر والبواطن ،
والاخذ بالخلق السمع ، وترك المشاحة والشح . وان المعارة
تورث التباعد ، وتزيل التعاون والترافد ، والاشراف العلوية
بقزوين بينهم وبين سائر الطوائف شحشاء لانكاد تسقط
جمراتها ، ولا تنجلي غمراتها ، وقد كتبت في ذلك كتابا ارجوه يجمع
على الالفه ، ويحرس من الفرقه ، ينظم على ترك المنازعة ، والجنوح الى
الموادعة ، فان المهادنة تجمل بين الملتين ، فكيف بين النحلتين ، والله
نسأل توفيقا لانفسنا ولهم . واذا عرفت لما يجري من ذلك تأويلا
وان كان ضعيفا فليت شعري لم بين آل ابي طالب ايدهم الله تماد
وتباغض ، وتناء وترافض ، وشر قد تعدى الى اراقه الدم ،
وقطع العصم ، ونسيان الذمم ، وبيت الرسالة يجمعهم ، وظل
النبوة يكتنفهم ، ورحم الوصية تؤلفهم ، وهل ذلك الا من
حبائل الشيطان ومكائده ، ونزغانه ومراصده ، وقد اعتمدت

الشر يفين لامرين عظيمين ، اولهما واولاهما ، ازالة هذا التنازع
والتقاطع ، بين بني العم حتى يكونوا متوازيين متعادلين ، اخوانا
متقابلين ، وان احتاج بعض الى احتمال ضيم لبعض ، والتزام
هضيمة وغيض ، فالدين يقتضي ذلك اقتضاء لارخصة في
حركه ، ولا تأويل في حله ، ولا عذر في هجره ، وانا اتوقع
ما يكون من هؤلاء الاشراف ايدهم الله في الاستجابة لما رسمت ،
والتزام ما الزمت ، ومن الشريفين ايدهما الله في اصلاح ذات
البين ، والصبر على ايقاع الاتفاق ، ورفع الافتراق ، واستعادة
الاتلاف ، والامانة الاختلاف . ان شاء الله تعالى .

وكتب بعزي ابا عن ولده :

هو لدهر يا شيخني و كبيرى فلا تعجب من طوارقه ، ولا
تنكر هجوم بوائته ، عطاؤه في ضمان الارتجاع ، وحبائه في
قران الانتزاع ، بينا يمنح المرء حتى يسلب ، و بينا يعطي حتى
يجرب ، واللبب يستشعر الفجيرة ، حين بوئى الوديعه ،
ويتمثل الفقدان ، ساعة يصافح الوجدان ، علماً بأن الله تعالى
جعل الدار دار امتحان لا دار مقام . وبلغني من مضي الفتى
قدس الله روحه ، وبرّد ضريحه ، على حين املته لاحوال ،

ورجونه لكفاية واستقلال ، ما أجرى الدمع ، وأعظم الفجع ،
ولم ادر ألتصور حاله وقد اختضر شبابه ، ونقطعت اسبابه ، ولم
تغن عنه طراوته في العيون ، وحلاوته وعزه على العشيرة ،
وكثرة الحامين له دون العظيمة ، فلا يملك عن روحه دفعاً ، ولا
يستطيع للحتم ردا بنفسه ولا بذوبه ؟ ام حالك وقد اخذ عن
عينك قررتها ، وعن نفسك ثمرتها ، وعن دنياك حسنيتها ، وعن
مناك غابتها ، فلا القلق ينفع ، ولا الحيلة تدفع ، ولا
الفدية تقبل ، ولا البلية تمهل ؟ وكل ذلك يزيد المؤمنين
إيماناً ، والموقنين ايقاناً ، فيعلم أن الامر كله لمن يغلب
ولا يغلب ، وكيف ما شاء يفعل ويقلب ، الا ان الارضى
خليقة ، والاهدى طريقة ، من علم أن اللطيف الرؤوف
لا يعطي الا إذا كان العطاء اربح ، ولا يأخذ الا اذا كان
الأخذ اصلح . وابنك وان كان طهرأ ، فقد عاد اجراً ، وان
كان نحرأ ، فقد رجع ذخراً ؛ فأحسن العزاء واجمل الرجعى ،
فما عند الله خير وابقى . واعلم ان الناس قبلك فجعوا فجزعوا ،
ودهوا فدهلوا ، ثم لم يرد التسلب من مات ، ولم يرجع
التهالك كل من فات ، فعادوا الى التسليم ، وفوضوا الى

القادر الحكيم . وان المرء ليقدم السلوة فيجبر مصابه ، كما
يوخرها فيحبط ثوابه . اخذ الله بك الى ما هو أولى بسنك
ودينك ، وحسن عقيدتك وبقينك . أحب ان تعرفني خبرك
في التفويض الى الله ، وحسن الرضا بقدر الله ، فان الرزق
ما كان أفضع ، كان العوض أوسع ، وانت وان احتجت
الى الاولاد ، فحاجتك العظمى الى حسن المعاد ، والله
أسأل لك ولنفسي التوفيق والتسديد ، انه فعال لما يريد .
وله في باب التعازي :

ورد كتاب مولاي بذكر مضي فلان فوجدت نفسي
كالمصاب بنجيب من أبنائه ، أو عزيز من أعضائه ، وورد
على قلبي ما غشاه كرباً يتعذر دواؤه ، ويتعسر جلاؤه ،
فما أدري بعد هذا ما أكتب وما أقول ، وكيف يذم هذا
الزمان الخوئون ولكنني أنشد :

ما أعلم الدهر بمن أحب

وأردد :

هذا الزمان يسوئي فجعلاً بكل خليل
فكأنه يمضي الى ما ساءني بدليل

والله أسأل ان يطهرنا للقائه ، فكل لابد وارد هذا الحوض
وان مد في اجله ، وآخر في مهله ، ونعوذ بالله من طول
الآمال ، وقصر الآجال ، وشرور النفوس وسيئات الأعمال ،
ورحم الله فلانا فلقد كان قليل النظير في اشكاله ، بل
عديم المثل في امثاله ، وسأكتب الى فلان معزياً وان لم
أجده أولى مني بالفجيعة ، فاخاء المودة الخاصة ، فوق
الرحم الماسة .

وله يعاتب كاتباً تراجع في صناعته :

كنت ابتدأتك بالمخاطبة ، وحضضتك في آلات الكتابة
على المداومة والمواظبة ، فأجد خطك يزداد على الأيام
ويستجاد ، ثم أهملت التعهد ، واستعملت التجوز ، وصار
ما تكتبه مضطرب الحروف ، متضاعف الضعف والتحريف ،
وجعلت أتاوّل لك يوماً بقلم لم يستجب بربه ، ويوماً بمداد
لم يساعد جربه ، الى أن صار رداءة الخط سنة لك وسناً ،
ورسماً ثابتاً مرتين ، فقدمت هذا الخطاب مذكراً ، ورجوت
ألا تهوج الى مثله منكر ، وإياك وإياك اضطراري فتأبر
على المشق والتسويد ، واهتم بالتصحيح والتجويد ، واعمل

على ان تقوم حرفاً حرفاً من خطك ، وتصوره في نفسك قبل تصويره بيدك ، وليكن لك من يوقفك على مواضع التقصير والتضجيع ، لأنّين الزيادة فيما يرد منك وقتاً وقتاً ، قبل ان اوسعك تهجيناً ومقتناً والسلام .^(١)
فصل من كتاب له الى ابن العميد صدر جواباً عن كتابه اليه في وصف البحر :

وصل كتاب الاستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، وعان من مراكبه ، وراه من طاعة الآله للرياح كيف ارادتها ، واستجابة ادواتها لها متى نادتها ، وركوب الناس اشباحها ، والخوف بمراى ومسمع ، والمنون بمرقب ومطلع ، والدهر بين اخذ وترك ، والارواح بين نجاة وهلك . اذا فكروا في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، واذا لاح لهم غرر المطالب الكثيرة حجب اليهم الغرر .

وعرفت ماقاله من تمنيه كوني عند ذلك بحضرته ، وحصولي على مساعدته ، ومن رأى بحر الاستاذ كيف يذخر بالفضل ، وتلاطم فيه امواج الادب العلم ، لم يعتب على الدهر فيما يفите

(١) آخر ما انتقته من المختار من ديوان رسائل صاحب المخطوط .

من منظر البحر ، ولا فضيلة له عندي اعظم من اكبار الاستاذ
لاحواله ، واستعظامه لاهواله ، كما لا شيء ابلغ في مفاخره ،
وانفس في جواهره ، من وصف الاستاذ له فاني قرأت منه الماء
السلسال لا الزلزال ، والسحر الحرام لا الحلال ، وقد علم انه
كتب ولما يخطر بfikره ، سعة صدره ، فلو فعل لرأى البحر
وشلا لا يفضل عن التبرض ، وثمدآلا بكثرة الترشف .

وكم من جبال جبت تشهدانك اا جبال وبحر شاهد انك البحر
وكتب تهنئة بزواج ام وتعزية بموت اب :

الايام — اطال الله بقائك — تجري على انحاء مختلفة ، وشعب
متفرقة ، واحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسر ، وينفع
ويضر ، وبلغني من نفوذ قضاء الله في شيخك رحمه الله ما ازعجني ،
وابهم طرق السلوة دوني ، وان كان من خلفك غير خارج عن
مزبة الاحياء ، ولا حاصل في زمرة الاموات ، والله يأسو
كلمك ، ويسد ثلمك ، وقد فعل ذلك بان اتاح الله لك بعد ابيك
اباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنوا ، واشاراك وبرا ، وقد
لعمري وفقت حين وصلت بجبالك حبله ، واسكنت الكبيرة
حرسها الله تعالى ظله ، لئلا تفقد من الماضي عفا الله عنه الا

شخصه . فالحمد لله الذي ارشدك لما يعيد الشمل مجتمعاً بعد فراقه ، والعدد موفوراً بعد انتقاصه ، حمداً يقضي لك بالمسرة ، ويحسم دونك مراد الوحشة ، ويلقيك ثواب ما قضيته من الحق ، وتحملته من الاوق^(١) ، انه فعال لما يريد .

وكتب تهنئة بينت :

اهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ، وام الابناء ، وجالبة الاصهار ،
والاولاد الاطهار ، والمبشرة باخوة يتنافسون ، ونجباء
بتلاحقون .

فلو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لامم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهِلال
فادرع ياسيدي اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثة
والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والارض مؤنثة ومنها
خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ؛ والسماء مؤنثة وقد
تزينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة
وهي قوام الابدان ، وملاك الحيوان ، والجنة مؤنثة وبها
وعد المتقون ، وفيها بنعم المرسلون ، فهنيئاً هنيئاً

ما اوليت ، واوزعتك الله شكر ما اعطيت ، واطال الله
بقائك ، ما عرف النسل والولد ، وما بقي الأبد ، وكما
عمرَ أبد .

وكتب الى ابي علي الحسن بن احمد في شأن ابي عبد الله
محمد بن حامد :

كتابي هذا وقد ارخى الليل سدوله ، وسحب الظلام
ذبوله ، ونحن على الرحيل غداً ان شاء الله اذا مد
الصباح غرره قبل ان يسبغ حجوله ، ولولا ذلك لاطلته
كوقوف الحجيج على المشاعر ، ولم اقتصر منه على
زاد المسافر ، فان المتحمل له وسيع الحقوق لدي ، حقيق
ان اتعب له خاطري ويدي ، وهو ابو عبد الله الحامدي اعزه
الله تعالى كان وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد ، ابي سعيد
الشيباني السعيد ، رفع الله منازلهم وقتل قاتله ، يكتب له
فأنسنا بفضلهم ، وانسنا الخير من عقله ، فلما فجع بتلك الصعبة ،
وبما كان له فيها من القربة ، لم يرض غير بابي مشرعاً ، وغير
جنابي مرتعاً ، وقطع الي الطريق الشاق مؤكداً حقاً لا يشق
غباره ، ولا ينسى على الزمان ذماره ، وكنت على جناح النهضة

التي لم يستقر نواها ، ولم تبين حصباها ، ولم تلق عصاها ،
فأخرج الحر ، المبتدأ الامر ، القريب العهد بوطأة الدهر ،
حامل عليه بارك الوعر ، فرددته اليك ياسيدي لتسهل
عليه حجابك ، وتمهد له جنابك ، وترصد له عملا خفيف
الثقل ، ندي أظل ، فاذا انفق عرضته عليه ، ثم فوضته اليه ،
وهو الى ان يتفق ذلك ضيفي وعليك قراه ، وعندك مربعه
ومشتهاه ، ويريد اشتغالا بالعلم ليزيده في الاستقلال ، الى
ان يأتيه ان شاء الله خبرنا في الاستقرار ، ثم له الخيار ، ان
شاء اقام على ما وليته ، وان شاء لحق بنا ناشراً ما اوليته ، وقد
وقعت له الى فلان بما يعينه على بعض الانتظار ، الى ان تختار
له ايدك الله كل الاختيار ، فأوعز اليّ بتعجيله ، واكفني
شغل القلب بهذا الحر الذي افردني بتأمله ، ان شاء الله تعالى .
وكتب الى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني
عند وروده باب الري وافداً عليه :

تحدثت الركاب بسير اروي الى بلد حططت به خيامي
فكدت أطير من شوقي اليها بقادمة كقادمة الحمام
أفحق ما قيل من امر القادم ، ام ظن كأمني الحالم ؟ لا والله بل

هو درك العيان ، وانه ونيل المنى سيان . فرحباً ايها القاضي
براحتك ورحلك ، بل اهلا بك وبكافة اهلك ، ويا سرعة ما
فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من رياك ، فحث المطي
تزل غلتي بسقياك ، وتزح غلتي بلبقياك ، ونص على يوم الوصول
لنجعله عيداً مشرفاً ، ونتخذهُ موسماً ومعرفاً ، ورد الغلام ، اسرع
من رجوع الكلام ، فقد امرته ان يطير على جناح نسر ، وان
يترك الصبا في عقال واسر .

سقى الله دارات مررت بارضها فأدتك نحوي يا زياد بن عامر
اصائل قرب ارتجبي ان اناها بلبقياك قد زحزن حرا الهواجر
وكتب يذكرك مصحفاً اهدي اليه :

البر ادام الله الشيخ انواع ، تطول به ابواع ، وتقصّر عنه
ابواع ، فان يكن فيها ما هو اكرم منصباً ، واشرف منسباً ،
فتحفة الشيخ اذ اهدى مالا تشا كله النعم ، ولا تعادله القيم ،
كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله ، وهداه
وسبيله ، ومعجز رسول الله صلى الله وسلم ودليله ، طبع دون
معارضته على الشفاء ، وختم على الخواطر والافواه ، فقصر عنه
الثقلان ، وبقي ما بقي الملوان ، لاثخ سراجيه ، ووضح منهاجه ،

منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ، وبذل
كل جبار عنيد ؛ وفضائل القرآن ، لا تحصى في الف قران .
فاصف الخط الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة
الاقسام ، وزاد في نخوة الاقلام ، بل اصفه بترك الوصف
فاخباره آثاره ، وعينه فراره ، وحقاً اقول اني لا احسب احداً
ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع في
استكتابها ما ابتدعت ، وان هذا المصحف لزائد على جميعها
زيادة القرعة ^(١) على الغرة ، بل زيادة الحج على العمرة .
لقد اهديته . علقاً نفيساً وما يهدي النفيس سوى النفيس
وكتب الى ابي سعيد الشيبلي :

قد رأى شيخ الدولتين كيف الكلف بسادتي من اهل
ميكال ايدهم الله بين ود اضمره على البعد ، وايتار اظهره على
تراخي المزار ، وتقريظ يمليه علي الملوان ، ومدح انطق فيه
بلسان الزمان ، حتى ان ذكرهم اذا جرى على لساني ، اهتزت
له نفسي ، وفضلهم اذا جرى على سمعي ، انفرج له صدري ، فتلك
عصبة خير فضلها باهر ، وشرفها على شرف النماء زاهر ، وشجرة

حطية اصلها ثابت وفرعها في السماء ، والله يتم اعدادها ، ولا
يعدمني ودادها ؛ واذا كان ا كباري لم هذا الاكبار ، فكل
منتسب الى جنبهم اثير لدي ، كثير في يدي ؛ وطراً علي فلان
منتسباً الى جملتهم ، وحبذا الجملة ، ومعتزياً الى خدمتهم ، ونعمت
الخدمة ، ففررناه عن طبع سمح ، ولفظ عذب ، وصلة نثر بنظم ،
فان شاء قال انا الوليد ، وان شاء قال انا عبد الحميد ، ولم اعظم
بمن خرجته تلك النعمة ، ونتجته تلك السدة ، ان يأخذ من
كل حسنة بعروة ، ويقدح في كل نار بجذوة ، وآنسنا بالمقام
مدة ، اكدتها شوافع عدة ، الى ان تذكر معاهد رأى فيها
الدهر طلقاً والزمان غلاماً ، والفضل رهناً والافصال لزاماً ، فحن
حنين الركاب ، وركب عزم الاياب .

وكتب في وصف كتاب :

..... ومن هو الذي لا يحبه وهو علم الفضل ، وواسطة
الدهر ، وقرارة الادب والعلم ، وجمع الدراية والفهم ، ام من
يرغب عن مكاثرة بمن ينسب الربيع الى خلقه ، ويكتسب
محاسنه من طبعه ، ويتوشح بانواره ، ويتوضح بآثار لسانه ويده ،
وصل كتابه ، فارتحت لعنوانه ، قبل عيانه ، حتى اذا فضضت

ختامه اقبلت الفقر تشكائر ، والدرر تنسائر ، والفرر نثراكم ،
والنكت نتراحم ، فاذا حكمت للفظه بالسبق انت اختها تنافر ،
واقبلت لديها تنفاخر ، حتى استعفيت من الحكومة ، ونفقت
يدي من غبار الخصومة ، واخذت اقول كلكن صوادر عن
اصل واحد فتسالن ، وارفاد عن معدن رافد فتصالحن ، وقد وليت
النظر بينهما من كل لنسج برودهما ، ووفى بنظم عقودهما ؛ على
انتي بامولاي أنشأت هذه الاحرف وحوالي اعمال واشغال لا
يسلم معها فكر ، ولا يسلم بينهما طبع ، وتناولت فلما كالا بن
العاق ، بل العدو المشاق ، اذا اردته استقال ، واذا قومته مال ،
واذا حشته وقف ، واذا وقفته انخرق ، احدل^(١) الشق ، متفاوت
البري ، معدوم الجري ، محرف القط ، مشيج^(٢) الخط ؛ ثم رأيت
العدول عنه ضربا من الانقياد لاصره ، والانخراط في سلكه ،
فجهدته على رغمه ، وكددته على صعره ؛ لاجرم ان جنابة اللجاج
بادية على صفحات الحروف لاتخفى ، وعادية المحك^(٣) لاثثة على
وجوه السطور لتجلى .

(١) الاحدل : المائل . (٢) المشيج : المعنى .

(٣) المحك : التادي في اللجاج والغضب .

وكتب في معناه : والله يعلم اني أخبرت بورود كتابه
واسئفزي الفرح قبل رؤيته ، وهز عطني المرح امام مشاهدته ،
فما ادري اسمعت بورود كتاب ، أم ظفرت برجوع شباب ؟
ثم وصل بعد انتظار له شديد ، وتطلع الى وصوله طويلاً عريضاً ،
فتأملته فلم ادر ما تأملت أخطأ مسطوراً ، أم روضاً ممطوراً ،
أم كلاماً منشوراً ، أم شيئاً منشوراً ؟ ولم ادر ما أبصرت في
اثناها آيات شعر ، أم عقود در ؟ ولم ادر ما جلته أغيث حل
بوادى ظمان ، أم غوث سبق الى لفان ؟ .

وكتب : وصل كتاب القاضي فاعظمت قدر النعمة في
مطلعه ، واجلات محل الموهبة بموقعه ، وفضضته عن السحر
خلالاً ، والماء زلالاً ، وسرحت الطرف منه في رياض رقت
حواشيها ، وحلل تأنيق واشيها ، فلم اتجاوز فصلاً الا الى أخطر
منه فضلاً ، ولم اتخط مطراً الا الى أحسن منه نظماً ونثراً .

وكتب أيضاً : وصل كتابك فجعلت وصوله عيداً أو رخ
به ايام بهجتي ، وافتتح به مواقف غبطتي ، وعرفت من خبر
سلامتك ما سألت الله الكريم ان يصله بالدوام ، ويرفعه على
أيدي الايام .

وكتب أيضاً : وصل كتابه ايده الله يضحك عن أخلاقه
الارجة ، ويتهلل عن عشرته العطرة ، ويخبر عن عافية الله لمن
رأيت شمل الحرية به منتظماً ، وشعب المروءة له ملتئماً ، ويحمل
من انواع بره ، ما اقصر عن ذكره ، ولا أطمع في شكره ؛
ويؤدي من لطيف اعتذاره في اثناء عتبه ، ما تزداد أسباب
المودة تمهيداً به ، وفهمته ورغبت الى الله باخلاص طوية ،
والمحض نية .

وكتب الى حسام الدولة ابي العباس تاش الحاجب في القاضي
أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني :

قد تقدم وصفي للقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز ادام
الله تعالى عزه فيما سبق الى حضرة الامير الجليل صاحب الجيش
ادام الله تعالى علوه من كتبي ما اعلم اني لم اوّد فيه بعض الحق ،
وان كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل ، وتكشف عن
انه من افراد الدهر ، في كل قسم من اقسام الادب والعلم ، فأما
موقعه مني فموقع تخطبه هذه المحاسن ، ونوجه هذه المناقب ،
وعادته معي ان لا يفارقني مقبوا وظاعناً ، ومسافراً وقاطناً ، واحتاج
الآن ، الى مطالعة جرجان ، بعد ان شرطت عليه تصيير المقام

كالامام ، فطالبني مكاتبتني بتعريف الامير . صدره ومورده
فان عن له ما يحتاج الى عرضه وجد من شرف اسعافه ما هو
المعتاد ليستعجل انكفاؤه اليّ بما يرسم ادام الله ايامه من
مظاهره على ما يقدم الرحيل ، ويفسح السبيل ، من بدركة ان
احتاج اليها والى الاستظهار بها ومخاطبة لبعض من في الطريق
بتصرف النجح فيها . فان رأى الامير ان يجعل من حظوظي
الجسيمة عنه تعهد القاضي ابي الحسن بما يعجل رده ، فاني ما غاب
كالفضل الناشد ، واذا عاد كالغائم الواحد ، فعل ان شاء
الله تعالى .

ووجه الصاحب ابا الحسن الجوهرى الى ابي العباس
الضبي باصبهان وزوده بهذا الكتاب :

اوصافي لمولاي ادام الله تعالى عزه تودع الشوق اليه
حبات القلوب ، كما تملأ له بالمحبة اوساط الصدور ، فلا تغادر
ذا قدح فائز في الفضل ، وخصل سابق في خصال العلم ،
الا ونار الحنين حشو ثيابه او يرحل اليه ، وينىخ ركائب
السير لديه ، لا جرم ان جل من يحضرنى يطالبني بالاذن له
في قصده ، ويهتبل غرة الزمان في الخطوة بقربه ، نعم وذوو

التحصيل اذا حظوا لدي بزلقة ، واحصفوا عروة خدمة ،
اعتقدوا انهم ان لم يعتمدوا ظله ، ولم يعتلقوا حبله ، كانوا
كمن حج ولم يعتمر ، ودخل ظفار ولم يحمر ، الا ان جميعهم
اذا دفعته اندفع ، واذا خدعته انخدع ، غير واحد ملط ،
ملحف مشط ، يغريه الرد بالمراجعة ، ويغويه المنع للمعاودة ،
ويقول بملء لسانه الى ان يسأم ، ويقتضي طول زمانه حتى
يهرم ، وكم جررته على شوك المطل ، ونقلته من حزن الى
سهل ، وصرفته على انجاز وعد بوعد ، ودفعته من استقبال
شهر الى انسلاخ شهر ، ثم خوفته كلب الشتاء اجعل الربيع
موعدا ، وحذرته وهج المصيف اعطيته للخريف موثقا ، وكم
شغلته بعمالة بعد عمالة ، ووفادة بعد وفادة ، اريد في كل
ان اصدفه عن وجهته ، واصده عن عزمته ، ليس لفرض
اكثر من ان السؤال منه والدفاع مني تساجلا ، والالتماس
منه والامتناع من جهتي تقابلا ، فلما خشيت صبابته باصبيهان
ان يردها بل بمخدمة مولاي ان يعتقدوها تنجي على قلبه ، او
يتعيف بمس من الجنون ثابت عقله ، القيت حبله على غاربه ،
وبردت بالاذن جمرات جوانحه ، فان يقل مولاي من

ذا الذي هذا خطبه ، وهذه خطته ، اقل من فضله برهان
حق ، وشعره لسان صدق ، ومن أطبق اهل جلده ، على
انه معجزة بلده ، فلا بعد لجرجان بعيدا ولا قريبا او لاختها
طبرستان قديما ولا حديثا مثله ، ومن اخذ برقاب النظم
اخذه ، وملك رق القوافي ملكه ، ذاك على اقبال شبابه ،
وريعان عمره ، وقبل ان تحدثه الآداب ، وقيل جري
المذكيات غلاب ، ابو الحسن الجوهري ابدى الله ونبأؤه
عند مولاي منذ حين ، وخصوصه بي كالصبح المبين ،
الا ان لمشاهدة الحاضر ، ومعاينة الناظر ، مزية لا يستقصيها الخبر
وان امتد نفسه ، وطال عنانه ومرسه ، وقد الف الى هذه الفضيلة
التي فرع بنيتها ، واوفى على ذوي التجربة والتقدمة فيها ، نفاذاً في
آداب الخدمة ، ومعرفة بحق الندام والعشرة ، وقبولا يملأ به
مجلس الحفلة انصاتا للمتبع الا اذا وجب القول ، واعظاماً
للمخدوم الا اذا خرج الامر ، وظرفاً يشحن مجلس الخلوة حديثاً
يسكت به العنادب ويطاول البلابل . فان النقص ان يفسح له
في الفارسية نظماً ونثراً طفع اذيه ، وسال اتيه ، فالسنة اهل
مصره الا الافراد بروق اذا وطثوا اعتقاب العجم ، وقبود اذا

تعاطوا لغات العرب، حتى ان الاديب منهم المقدم، والعليم المسوم، يتلثم اذا حاضرمناطقه، كأنه لم بدر من عدنان، ولم يسمع من قحطان ومن فضول اخينا او فضله انه يدعي الكتابة، ويدارس البلاغة، ويمارس الانشاء، ويهدي فيه ما شاء، وكنت اخرجته الى ناصر الدولة ابي الحسن محمد بن ابراهيم فوفق التوفيق كله صيانة لنفسه، وامانة في ودائع لسانه ويده، واظهاراً لنسك لم اعمره في مسكه، حتى خرج وسلم على نقده، وان نقده لشديد لمثله، ومولاي يجربه بحضرته مجراه بحضرتي، فطعامه ومنامه، وقعوده وقيامه، اما بين يدي، او باقرب المجالس لدي، ولا يقول هذا اديب وشاعر، او وافد وزائر، بل يحسبه قد تخفف بين يديه اعواماً واحقاباً، وقضى في التصرف لديه صبي وشباباً، وهذا انما يحتاج الى وسيط وشفيع ما لم ينشربزه، ولم يظهر طرزه، والا فيكون بعد شفيع من سواه، ووسيط من عداه، فهناك بحمد الله درقه وحققه، ووجنة مطرفة^(١) وما اكثر ما يفاخرنا بمناظر جرجان وصحاريها، ودفارفها وحواشيها، فليملأ مولاي عينه من منتزهات اصبهان فمسي طماحه ان يخف،

(١) لعله وجنة مطرقة او وجنة ومطرقة .

وجماحه ان يقل . وشريطة اخرى في بابه وهي انه ليس موضعاً
لئله فسبيل ما يرزأه ان يكون ما اقام في حجره ، وان اذن له
مولاي في العود داخلا في حطر ، فما اكثر ما يباري البرامكة
تبرماً بجانب الجمع ، وتخرقاً في مذاهب البذل ، ونسبة للرباح
الى الامساك والبخل ، فيينا تراه والثروة اقرب وصفيه ، حتى
تلقاه والحاجة احد خصميه ، وكم وكم تداركت امره فما ازداد
الخرق الا وسعاً لا يقبل رثقاً ، وتهاونا لا يسمع تلافياً ، وما
كنت مع ابرامه لافسح له في الخروج ، وامد له طول النهوض
مع انسي الشديد بحضوره ، واستمتاع النفس بعقله وجنونه ، غير
اني ازرته من ينظر بعيني ، ويسمع باذني ، ومن اذا ارتاح للامر
فقد ارتحت ، واذا انشرح صدره فقد انشרכת . ونكتة
اخرى وهي واسطة التاج ، وفاتحة الرتاج ، مولاي سمح بماله ،
مقرب لئاله ، بخيل بجاهه ضنين بكلامه . وابو الحسن لا يقبل
العذر ، او يصدق النذر ، فيجعل جوده بلسانه ، ابلغ من جوده
بينانه ، وحقاً اخبر ان قصده الاكثر الارتفاع لا الانتفاع غير
اني انبأت عن مره ، وعن سن بكره .

وكتب الى ابي سعيد الاسماعيلي يصف قصيدة لابنه ابي
معمر الاسماعيلي :

وبعد فهل اتاك حديث الاعجاب منا وقد طلعت من ارضك
فقرة الفقر ، وغرة الغرر ، وحديقة الزهر ، وخليفة المطر ، تلك
حسنة انتشرت عن ضوئك ، وغمامة نشأت بنوئك ، ونار
قدحت بزندك ، وصفيحة فضل طبعت على نقدك . وانها
لقصيدة ولدنا ابي معمر عمره الله تعالى ما اختار ، وعمر به الرباع
والديار ، خطت باقدام الاجادة ، وقطعت مسافة الاصابة ،
وسعت الى كعبة القبول ، وحلت حرم الامن خير الحلول ،
نلبي وقد نعت من لباس العمل ، وتجردت عن عطف التبذل ،
فلم تدع مذسكاً من البر الا قضته ، ولا مشعراً من الفضل الا
عمرته ، ولا معرفاً من العلم الا شهدته ، ولا محصباً من الفهم الا
حضرته . واجتمعنا حولها وانا لاعداد جمة ، وفيها واحد يقال
انه امة ، كأنا عديد الموسم يعظمون الشعائر ، ويعلقون الستائر ،
ويحتضنون الملتزم ، ويلثمون المستلم . وهذا الكتاب يرد
عليكم بالخير أسرع من اللمع البارق ، نعم ومن اللمع الخاطف ،
واخف من سابق الحجيج وان كان المثل الاعلى لبيت الله

العتيق ، فاحمد الله اذ قرن فضل فتاك بفضلك ، وجعل فرعك
كأصلك ، وانبت غصنك على شجرك ، واشتق هلالك من
قمرك ، واراك من ظهرك ، من يحذو على نجرك ، ويصل نجره
بفخره ، ويشيد من بناء الدراية ما اسست ، ويسقي من شجر
الرواية ما غرست .

وكتب الى ابي العباس الضبي في ذكر ابي سعيد الرستمي :
كان بعد في جمع أصدقائنا باصبيان رجل ليس بشديد
الاعتدال في خلقه ، ولا يبارع الجمال في وجهه ، بل كان يروع
بمحاسن شعره ، وسلامة وده . أما الشعر فقد غاض حتى غاظ ،
وأما الود ففاض أو فاظ . فان تذكره مولاي بوصفه والآن
فليسأل عن خاله وعمه ، أما العمومة ففي آل رستم وثم الذروة
والغارب ، ولؤي العجم وغالب ، وأما الخوؤلة ففي آل جنيد ،
كما قال شاعرهم في سعد وسعيد ، وقد سألت عن خبره وقد
فجران ، والركب بجلي نعمان ، فلم يذكروا الا أنه مشغول
بخطبة سبطه ابي القاسم ابن بحر رحمه الله تعالى لفناء اعزه الله
وليس في ذلك ما يوجب ان يطوبنا طي الرداء ، وبلقي عهدنا
القاء الحذاء ، وقد يعود الصلاح فساداً ، ويرجع النفاق كساداً .

فلعل تيا ان تلاقى خطة فتروم نصرا من بني العوام
قال الثعالبي سمعت ابا جعفر الطبري الطبيب المعروف
بالبلادري يقول ان للصاحب رسالة في الطب لو علمها ابن
قرة وابن زكريا لما زادوا عليها فسألته ان يعيرنيها ان كانت عنده
فذكر انها في جملة ما غاب عنه من كتبه فاستغربت واستبعدت ما
حكاه من تطبب الصاحب ونسبته في انفسه الى التزبد
والتكثرت الى ان ظفرت في نسخة الرسائل المؤلفة المبوبة
للصاحب برسالة قدرتها تلك التي ذكرها ابو جعفر ووجدتها
تجمع الى ملاحاة البلاغة ورشاقة العبارة حسن التصرف في
لطائف الطب وخصائصه وتدل على التبحر في علمه وقوة
المعرفة بدقائقه وهذه نسختها واكثر ظني انه قد كتبها الى
ابي العباس الضبي :

قد عرفت ما شرحه مولاي من امره ، وانبا عنه من
احوال جسمه ، فدلني جملة على بقايا في البدن يحتاج معها
الى الصبر على التنقية ، والرفق بالتصفية ، فاما الذي يشكوه
من ضعف معدته وقلة شهوته ، فلامرين احدهما ان الجسم
كما قلت آنفا لم ينق فتفتق الشهوة الصادقة ، وترجع العادة

السابقة ، والآخر ان المعدة اذا دامت عليها المطفيات ، ولزت بها
المبردات ، قلت الشهوة وضعف الهضم ، ومع ذلك فلا بد مما يطفئ
ويغذي ، ثم يمكن من بعد ان يتدارك ضعف المعدة بما يقوي منها ،
ويزيل العارض المكتسب عنها ، كما يقول الفاضل جالينوس :
قدم علاج الالم ثم عد واصلح ما افسدت . والاقراص في
آخر الحميات خير ما نقيت به المعدة واصلحت به العروق وقوي
به الطحال ليتمكن من جذب العكر ، لاسيما والذي وجده
مولاي ليس الذنب فيه للحميات التي وجدها ، والبلدة التي
وردها ، فلو صادف الهواء المتغير جسداً نقياً من الفضول لما اثر
هذا التأثير ، ولا طول هذا التطويل ، وانما اغتر مولاي بايام
السلامة ، فكان يتبسط في انواع الطعام ، ويسرف في تناول
الشراب فامتلاً الجسم من تلك الكيموسات الرديئة وورد بلبداً
شديد التحليل ، مضطرب الاهوية ، فوجدت النفس عوناً
على حل ما انعقد ، وتقض ما اجتمع ، وسيتفضل الله بالسلامة
فتطول صحبتها ، وتتصل مدتها ، لان الجسد يخلص خلاص
الابرز اذا زال عنه الحبث وسبك فقارقه الدرن .
واما الرعشة التي يتألم مولاي منها ، ويضيق صدرها ، فليست

والحمد لله محذورة العاقبة ، وانها لتزول باقبال العافية ، فالرعدة التي تشخوف هي التي تعرض من ضعف القوة الحيوانية كما تعرض للمشايخ وتؤدي لمشاركتها الدماغ كثيراً من العظام . فاما هذه التي تعتاد عقيب الحمى فهي على ما قال جالينوس من ان حدوثها يكون اذا شاركت العروق التي تحدث فيها علة العصب وتزول عنه بزوال الفضل . وعجب مولاي من تكرهه شم الفواكه ولا غرو اذا عرف السبب ، فان العفونة التي في العروق قد طبقت روائحها آلات الشم ، فما يصل اليها من الروائح الزكية يرد على النفس مغموراً بتلك الروائح الخبيثة فتكرهها ، ولا تقبلها وتأبأها ولا تؤثرها ، ألا يرى مولاي ان الاشياء الحلوة في فم ذي الصفراء بطعم الاشياء المرة لاستيلاء المرارة ، المضادة للحلاوة على آلات الذوق والمضغ والادارة ، وهذا راجع الى مثل ما حكمنا به أولاً من ان هناك فضلاً لا يمكن الهجوم على تحليله لما يخشى من سقوط القوة وان كان مما لم يخرج لم يوثق بوفور الصحة . وانا احمد الله اذ ليست شهوة سيدي متزايدة ، فالشهوة الغالبة مع الاخلاط الفاسدة ، تغري صاحبها بالاكل الزائد ، وتعرض للمزاج الفاسد ، الا ان التغذية لا يجوز اهماله دفعة ،

والتبرم به ضربة ، فان البدن اذا احتاج اليه وجب للعليل ان يتناوله تناول الدواء الذي يصبر عليه ، وذلك ان في دقة الحمية ، وترك الرجوع اول فاؤل الى عادة الصحة امانة للشهوة ، وخيانة للقوة . وجالينوس يشرط في العلاجات اجمع استحقاق القوى لان الذي يفعله الضعف لا يتداركه امر الا ان ذلك بلزاء ما قال الحكيم الاول بقراط في البدن السقيم انك متى مازدته غذاء زدته شراً ، وهو في نفسه يقول : ان الحمية التي في غاية الدقة ليست بمحمودة فالطرفان ، من الاسراف والاجحاف مذمومان ، والواسطة أسلم . اغنى الله مولاي عن الطب والاطباء ، بالسلامة والشفاء .

وكتب الى ابي العلاء الاسدي :

يقر بعيني ان يلم رسولها يباي ويهدي بالعشي سلامها
ويذكر لي دون الرجال حديثها وينشر عندي نطقها وكلامها
ورد يا شيخني اطال بقاءك رسولك بكتاب سبق الافكار
والظنون ، وحسدت عليه القلوب العيون ، وترك الواصفين بين
قاصر ومقصر ، ومثل ليالينا بين الاولى فمحجر ، بكلام كالورق

النضير لتأوه^(١) منه الغصون ، وكالنور المنير افنانه فنوت ،
فصادفني حليفاً للشوق أورهيناً ، وحنينا على الحنين وساء قربنا ،
وكيف لا وقد الفنا القرب احوالاً حولنا رياض الادب ترف ،
ودوننا رواحل الفضل تزف ، نملك رقاب المنطق ، ونبتازع
اطراف الكلام المنمق ، ونقطع الليالي تناشداً وتذاكراً ،
وتحادثاً وتسامراً ، الى ان يخلع الظلام ثيابه ، ويجدر الصباح
نقابه ، هذا دأبنا كان الى ان جاوزنا الشباب مراحل ، ووردنا
من المشيب مناهل ، ثم حان الفراق فنحن حتى اليوم منه في جو
كدر ، ونجم منكدر ، يقبضنا عن الموارد العذاب ، ويعرضنا
على لواجم العذاب ، والله نسأل اعادة هاتيك الاحوال ، وتلك
الايام الخضراء الظلال . وان كان الله قد زادنا بعدك مناجح
ومناطح ، وايادي غواصي وروائح ، حتى فتحنا الفتوح ، وذللنا
القروح ، ورثقنا الفتوق ، ونسخنا الفروق ، واثرنا الآثار ،
ووطأنا الرقاب وطلبنا الثار ، واصطنعنا الصنائع ، وجعلنا ودائع
النعم قطائع ، وعقدنا في أعناق الاحرار متناً ، أحسن من سبل
الاحسان سنناً . انا قد تحملنا مشاقاً مالت على القوة للضعف ،

(١) كذا في معجم الادباء ولعل الصواب تنأود .

وشحاملت على الاشر بالوهن ، ودفعت الى معالجة خطوب تعجب
الدهر من صبرنا عليها نخار ، وجبن الزمان عند شجاعتنا لها فخار .
وها انا أخرج ما كنت الى ان ارفه ، ولا استكره ، وقد رميت
بسهم الاربعين ، وارميت على شرف الخمسين ، مدفوع الاشغال
والاثقال الى متاعب ومصاعب لومني بها ابن ثلاثين قويا ازره
طرياً حرصه لقام عجزه وقعت به نفسه واظنني كنت قد بما قلت :

وقائلة لم عرتك الهموم وامرك ممثلي في الامم
فقلت دعيني وما قد عرى فان الهموم بقدر الهمم
وما على الراحة آسف بل على الا اكون مشغولاً باخرى اهد لها
واكدح ، وادأب لنفسي وانصح ، اللهم وفق وقدر ، وسهل
ويسر ، انك على ما تشاء قدير .
وكتب اليه ايضاً :

ابا العلاء شيخني اين ذلك الميعاد ، واين تلك العهود سفتها
العهاد ، واين ليالينا مجزوى ، وتصايبنا على اروى ، بل اين الصبا
وما ملك ، واين الشباب واية سلك ؟ واذا قد غاب جميع ذلك
مغيب الخيال الطارق ، والضيف المفارق ، فاين كتبك التي
هي الذ من انتهاء النفس الى رجائها ، وابتداء العين في اغفائها .

وكتب في اهداء اترجه : ما زلت يا سيدي افكر في تحفة
تجمع اوصاف معشوق وعاشق ، وتنظم نعوت مشوق وشائق ،
حتى ظفرت باترجة كأن لونها لوني وقد منيت ببعذك ؛ وبليت
بصدق ، وكأن عرفها مستعار من عرفك ، وظرفها مشتق من
ظرفك ، فكأنها بعض من لا اسميه ، وانا افديه ، فانفذتها وقلت :
مولاي قد جاءك اترجة من بعض اخلاقك مخلوقة
البسها صانعها حلة من سرق اصفر مسروقة
وكتب في اهداء اقلام : قد خدمت دواة مولاي باقلام
تخفف بلانامله ، وتحمّل نفحات فواضله ، وتأنت في بريها
فانت كناقير الحمام ، واعتدال السهام ، خمسة منها مصرية
مقومة ، عليها حلل مسهمة ، وعشرة منها ييى كاياديه ،
وايام مؤلمة ، والله بديم له مواد نعمته ، وبوفقني لشرائط
خدمته .

وله من كتاب تعزية : وقلنا قد اخذ الزمان من اخذ ،
وترك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد اسلم
الشمس للطفل ، ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع
الكسوف الى الخسوف ، فابى حكم الملوين ، وقد غبنك

اذ قاسمك الاخوين ، ألا ان يعود فيلحق الباقي بالفائي ،
والغابر بالماضي :

وعاد في طلب المتروك تاركه انا لنفعل والايام في الطلب
ما كان اقصر وقتاً كان بينهما كأنه الوقت بين الورد والقرب
اقول هذا كعادة المصدور في النفث ، وشكوى
الحزن والبث ، والآ فما يعجب السفر من تقدم بعض ،
وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت ساعياً على
وجه الارض ، حتى ينقله الى بطن التراب :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه
تخل ايدينا بارواحنا على زمان هن من كسبه
فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من ترابه

رقاع له في الاستزارة والوصف

١

هذا اليوم يا سيدي طاروني ، يعجبني نوؤه الفاختي ،
واذ قد غابت شمس السماء عنا ، فلا بد ان تدنو شمس الارض منا ،
فان نشطت للحضور ، شاركتنا في السرور ، والا فلا اكراه

ولا اجبار ، ولك متى شئت الاختيار .

٢

غداً يا سيدي بنحسر الصيام ، وتطيب المدام ، فلا بد
من ان نقيم اسواق الانس نافقة ، وننشر اعلام السرور
خافقة ، فبالفتوة فانها قسم للظراف ، يفرض حسن
الاسعاف ، لما بادرتها ولو على جناح الرياح ان شاء الله تعالى .

٣

نحن يا سيدي في مجلس غني الأعنك ، شاكر الامنك ، قد
تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت فيه خدود البنفسج ،
وفاخت مجامر الاترج ، وفتقت فارات النارج ، وانطقت
السنة العيدان ، وقام خطباء الاوتار ، وهبت رياح الاقداح ،
ونفقت سوق الانس ، وقام مناديه الطرب ، وطلعت
كواكب الندماء ، وامتدت سماء الند ، فبحياتي لما
حضرت ، لنحصل بك في جنة الخلد ، وتنصل الواسطة
بالعقد .

٤

نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت ، ونوره در ،

ونارنجه ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، يحملها زبرجد ،
والسنة العيدان تخاطب الظراف ، بهلم الى الاقداح ،
لكنا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وشباب اخذت جدته ،
فاحب ان تكون الينا امرع من الماء في انحداره ، والقمر
في مداره .

٥

مجلسنا يا سيدي مفنقر اليك ، معول في اغناؤه عليك ، قد
ابت راحه ان تصفو الا ان تتناولها يمينك ، واقسم غناؤه لا طاب
او تعيه اذنك ، فاما حدود نارنجه فقد احمرت خجلاً لا بطائك ،
وعيون نرجسه فقد حذقت تأملاً للقائك ، فبحياتي عليك لما
تعجلت ، لئلا يخبث من يومي ما طاب ، ويعود من همي ما طار .

٦

صرنا ابد الله مولانا في بستان كأنه من خلقه خلق ، ومن
خلقه سرق ، فرأينا اشجاراً تتميل فتذكر بترنخ الاحباب ، وقد
تداوتهم ايدي الشراب ، وانهاراً كأنها من يد مولانا تسيل ،
او من راحته تفيض ، وحضرنا فلان فعلاً نجمننا ، وحمد امرنا ،
ونسهل طريق الخير لنا ، فلما دبت الكوؤوس فيهم ديب البر

في السقم ، والنار في الفحم ، رأى ان نجعل انسا غداً عنده
فقلت سمعاً ، ولم استعجز لامره دفعاً ، والتمس ان اخلفه في تجشيم
مولاي الى المجمع ليقرب علينا متناول البدر بمشاهدته ، ولمس
الشمس بمطالعه ، فان رأى ان يشفعني اسعفني ان شاء الله تعالى .

٧

انا على طرف بستان اذ كرنى ورده المتفتح بخلقك ، وجدوله
السايح بطبعك ، وزهره الجني بقربك .

٨

علقت هذه الاحرف وانا على حافة حوض ذي ماء ازرق
كصفاء ودي لك ، ورقة قولي في عتابك ، ولو رأيت لانسيت
احواض مارب ، ومشارب ام غالب وقد قابلتني شقائق كالزئوج
تجارحت فسالت دماؤها ، وضعفت فبقي دماؤها ، وسامتني اشجار
كأن الحور اعارتها اثوابها ، وكستها ابرادها ، وحضرتني
نارنجيات ككرات من سفن ذهبت ، او ثدي ابكار خلقت
وقد تبرم بي الحاضرون لطول الكتاب فوقفت ، وكففت
وصدفت ، عن كثير من مما له تشوقت .

٩

مضيت فشاهدت احسن منظر ، فالارض زمردة ، والاشجار
وشي ، والماء سيوف ، والطير قيان .

١٠

كتب الى بعض ندمائه في يوم ثلج : كتبت والدنيا كافورة
والدرنثير ، والكوؤوس تدور ، والراح ياقوت احمر ، ونحن بين
اطباق البرد في ما نستغيث منه الى حر الراح ، بسورة الاقداح ،
وهي خير من كل شعر ووبر .

فصول له ورقاع في الملاطفة والمداعبة

كتب في الاعتذار من هفوة الكأس : سيدي اعرف
باحكام المروءة من ان يهدى اليها ، واجرص على عمارة سبل
الفتوة من ان يحض عليها ، وقديماً حملت اوزار السكر ، على
ظهور الخمر ، وطوي بساط الشراب ، على ما فيه من خطاً
وصواب ، وكنت البارحة بعقب شكاة اضعفتني ، ونقلتني
عن عادي ، واستعفيت السقاة غير دفعة فابوا الا الحاجاً علي ،
وانزاعاً الي ، وكرهت الامتناع خشية ان اوقع الكساد في سوق

الانس ، وثقاديا من ان يعقد عليّ خنصر الثقيل ، فلما بلغت الحد
الذي يوجب الحد ، بدرمني ما يبدر من لا يصحبه له ، ولا
يساعده عقله ، قلبه ، ولا غرو فوالاة الارطال ، تدع الشيوخ
كالاطفال ، فان رأى ان يقبل عذبي ، فيما جناه سكري ،
ويهب جرمي ، لمعرفة نيتي في صحوي . وان ابى الا معاقبتي
جعلها قسمين بين المدام وبينني فعل ان شاء الله تعالى .
وكتب مداعباً : خبر سيدي عندي وان كتمه عني ،
واستأثر به دوني ، وقد عرفت خبره البارحة في شربه وانسه ،
وغناء الضيف الطارق وعرسه ، « وكان ما كان مما لست
اذكره » ، وجرى ما جرى مما لست اشره ، واقول ان مولاي
امتطى الاشهب فكيف وجد ظهره ، وركب الطيار فكيف
شاهد جريه ، وهل سلم على حزونة الطريق ، وكيف تصرف
افي سعة ام ضيق ، وهل افرد الحج ام تمتع بالعمرة ، وقال في
الجملة بالكرة ؟ ليتفضل بتعريفي الخبر في ينفعه الانكار ، ولا
يفني عنه الا الاقرار ، وارجو ان يساعدنا الشيخ ابو مرة ، كما
ساعد مرة ، فنصلي للقبلة التي صلى اليها ، ونتمكن من الدرجة التي
خطب عليها ، هذا وله فضل سبق الى ذلك الميدان ، الكثير الفرسان .

وكتب أيضاً : انفردت يا سيدي بتلك انفراد من يحسب
مطلع الشمس من وجهها ، ومنبت الدر من فمها ، وملقط الورد
من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، وحقاق العاج من ثديها ،
ومبادي الليل من شعرها ، ومغرس الفصن في قدها ، ومهيل
الرمل في ردفها . وكلا فانها شوها ورها ، خرقاء خلقاء ،
كأنما يحياها ايام المصايب ، وليالي النوايب ، وكأنما قربها فقد
الحبايب ، وسوء العواقب ، وكأنما وصلها عدم الحياة ، وموت
الفتاة ، وكأنما هجرها قوة المنة ، وكأنما فقد هاريج الجنة .

ومن كتاب له في المداعبة : الله الله في اخيك لا تظهر كتابه
فيحكم عليه بالمالخيوليا وبالتخايل الفاسدة فقد ذكر جالينوس ان
قوماً يبلغ بهم سوء التخيل ان بقدروا اجسامهم زجاجاً فيتجنبوا
ملامسة الحيطان خشية ان يتكسروا ، وحكي ان قوماً يظنون
انفسهم طيوراً فلا يغتذون الا القرطم . والحظ كتابي دفعة ثم
مزقه فلا طائل فيه ، ولا عاء له ، ولا فرج عنده . وعلى ذكر
الفرج فقه . كانت بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية وخطبها
ابو علي كاتب بكر فلما الح عليها والحف كتبت اليه :

.

.

هذه والله في هذين البيتين اشعر من كبشة ام عمرو ،
والخنساء اخت صخر ، ومن كعوب الهذلية ، وليسلى
الاخيلية .

وكتب الى ابي العلاء الاسدي : ذكرت ان ادهمك
قطع الدهر رباطه ، او قطع الموت نياطه ، ووصفت
الحمار الذي استعضته ، فلا ادري اقرطته ام عضضته ، وقد
كتبت بابتياح مركوب لك يعجوب ، او بعسوب او مرجوب ،
بل رسمت ان يقاد اليك في كيس اعجر ، فان شئت
فاتركه عندك اشهب والاً فابتع به ادهم او اشقر ، والتوقيع
درج كتابي فليوصل والنقد عند الحافر ، وبه يملك الحف
والحافر ، ويجنب الاغر السائر ، والاقرح النادر .

وله من كتاب في الغضائري : الغضائري وما ادراك
ما الغضائري ، استزاد الى الجمال جمالاً ، وعاد بدراً و كان
هلالاً ، فان شئت فالغصن ميالاً ، وان شئت فالدعص منها لا ،
كأن جميع الناس يلقون وجهه بناظرك المفتون والحب شامل
رويدك ان احببت فالغصن مائل وان نصب بعد الدعص فالدعص هائل

وهو يهدي اليك سلاماً كركة خده ، ونسيم عرفه
وغزارة دمعلك من بعده :

سلاماً كما رق الذيم على الصبا
وجاء رسول الورد في زمن الورد
تأبى ايها الشيخ الصالح ، الا ان تغمسنا معك في
مزح المازح :

الاربذي مزح يحرك حبله وحبل الثقي من قلبه محصد شزر
(فصل) وما الشأن الا في انك تنقل في الهوى تنقل الاقياء ،
وتميل في الحب كشارب الصبأ ، فمرة الغضائري حتى اذا
حسبناك قد صرت له وصار لك ، وعلق بك وامله املك ، بعث
قديماً بجديث ، وتليداً بطريف ، واستهوتك حباثل القمي
فقممت تفتل في حبله ، وتحرص على وصله ، ثم تطمع ان تضم
ضدا الى ضد ، وتجمع سيفين في غمد ، وهيئات ان الغضائري
قد بلغه ذلك فازوراً وتنمر ، وغاروتنكر ، وقد كان له عزم في
المسير الى اصبهان ففقر بفتور صبوتك ، وخف بظهور نبوتك :
نقل فواءك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

وقد جعله بعض الشعراء للحبيب الآخر وأما نحن
فننشد لكثير :

إذا ما أرادت خلة أن تزيلنا أينما وقلنا الحاجية أول
والله يسقي عهدك صوب العهاد ، ويمدبنا وإياك على البعاد .

* * *

فقر من كلامه تجري مجرى الأمثال

- من استباح البحر العذب ، استخرج الأوّل الرطب
- من طالت يده بالمواهب ، امتدت إليه السنة المطال
- من كفر النعمة ، استوجب النقمة .
- من نبت لجه على الحرام ، لم يحصده غير الحسام .
- من غرته أيام السلامة ، حدثته السن الندامة .
- من لم يهزه يسير الإشارة ، لم ينفعه كثير العبارة .
- رب لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال .
- الصدر يطفح بما جمعه ، وكل أناء مؤدٍ ما أودعه .
- الليب تكفيه اللعجة ، وتغنيه اللحظة عن اللفظة .
- الشمس قد تغيب ثم تشرق ، والروض قد يذبل ثم يورق ،

- والبدر يأفل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع .
العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر .
إذا تكرّر الكلام على السمع ، تقرر في القلب .
الضمائر الصحاح ، ابلغ من اللسنة الفصاح .
الشيء يحسن في إبانته ، كما أن الثمر يستطاب في إوانه .
الآمال ممدودة ، والعواري مردودة .
الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعة .
متن السيف لين ، ولكن حده خشن ، ومتن الحية لين ،
ونابها اخشن .
عقد المن في الرقاب ، لا يبلغ الآبركوب الصعاب .
بعض الحلم مذلة ، وبعض الاستقامة مزلة .
كتاب المرء عنوان عقله ، بل عيار قدره ولسان فضله ، بل
ميزان علمه .
انجاز الوعد ، من دلائل المجد ، واعتراض المظل ، من
امارات البخل ، وتأخير الاسعاف ، من قرائن الاخلاف .
خير البر ما صفا وضمفا ، وشره ما تأخر ونكدر .
فراصة الكرم لا تبطي ، وقيافة الشرف لا تنحطي .

- قد ينبع الكلب القمر ، فليقم الناجح الحجر .
- كم متورط في عثار ، رجا ان يدرك بثار .
- بعض الوعد كنقع الشراب ، وبعضه كلمع السراب .
- قد يبلغ الكلام ، حيث تقصر السهام .
- ربما كان الاقرار بالقصور ، انطق من لسان الشكور .
- ربما كان الامساك عن الاطالة ، اوضح في الابانة والدلالة .
- لكل امرئ امل ، ولكل وقت عمل .
- ان نفع القول الجميل ، والا نفع السيف الصقيل .
- شجاع ولا كعرو ، ومندوب ولا كصخر .
- لا يذهبن عليك تفاوت ما بين الشيوخ والاحداث ،
والنسور والبغاث .
- كفران النعم ، عنوان النقم .
- جحد الصنائع ، داعية القوارع .
- تلقى الاحسان بالجعود ، تعريض للشرود .
- قد يقوى الضعيف ، ويصحو الزيف ، ويستقيم المائد ،
ويستيقظ الهاجد .
- للصدر نفثة اذا اخرج ، وللمرء بثة اذا احوج .

- ما كل امرئ يستجيب للمراد ، ويطيع يد الارتياد .
- قد يصلى البري بالسقيم ، ويؤخذ البر بالاثيم .
- ما كل طالب حق يعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه .
- ان الاحداث لا رياضه لهم بتدبير الحوادث .
- ان السنين تغير السنن .
- من ثقلت عليه النعمة خف وزنه ، ومن استمرت به الغرة طال حزنه

اطع سلطان النهى ، دون شيطان الهوى .
اعلم الملوك يحتاج الى وزير ، واشجع الناس يحتاج الى سلاح ،
واجود الخيل يحتاج الى سوط ، واجود انشفار يحتاج الى مسن .
مثل الملك الصالح اذا كان وزيره فاسداً كالماء الصافي النير
العذب الذي فيه التماسيح فلا يستطيع الانسان وروده وان كان
ساجداً الى الماء ظامئاً حذراً على نفسه .

- اذا ادبر الامر كان العطب في الحيلة .
- احسن ما يكون الحسن يجنب القبيح .
- ثلاثة تدل على عقول اربابها الهدية والكتاب والرسول .
- ما احد رأى في ولده ما يجب الا رأى في نفسه ما يكره .

الصبر على حقوق الثروة اشد من الصبر على الم الحاجة .
الرزق مقسوم ، والحريص محروم ، والحسود مغموم ،
والبخيل مذموم .

اذا كان الايجاز كافياً ، كان الاكثار عياً ، واذا كان
الايجاز مقصراً ، كان الاكثار ابلغ .
الخراج عمود الملك وما استقبل بمثل العدل ، وما استدير
بمثل الجور .

اذا لم اعط الا مستحقاً ، فكأنني اعطيت غريباً .
مثل الكاتب مثل الدولاب اذا تعطل تكسر .
القلم الرديء كالولد العاق ، وكالاخ المشاق .
التصرف اعلى واسنى ، والتعلل اعفى واصفى .
ذل العزل يضحك من تيه الولاية .
الولاية وكل مدح ، والعزل وكل ذم .
موت في عز خير من حياة في ذل .
الحرب سجال ، وعثراتها لا تقال .
المكيدة ابلغ من النجدة ، والكيد ابلغ من الايد .
المكر حيلة من لا حيلة له .

- السلاح ثم الكفاح .
- السلاح زينة وعدة .
- السلاح جنة الابدان ووقاية الانفس .
- قد يجبن الشجاع بلا سلاح ، ويشجع الجبان بالسلاح .
- لا تمنع عدوك السبيل في هزيمته .
- احتل للشمس والريح ان تكونا معك لا عليك .
- اذا ابتليت بالبيات فعليك بالثبات .
- محرض خير من الف مقاتل .
- الليل جنة الهارب .
- الفرار في وقته ظفر .
- الحرب اولها كلام ، وآخرها اصطلام .
- ان الجبان حتفه من فوقه .
- عصا الجبان اطول .
- القلم احد اللسانين .
- عقول الرجال تحت اسنة اقلامهم .
- صورة الخط في الابصار سواد وفي البصائر رياض .
- برداء الخط زمانة الادب .

القلم صائغ الكلام يفرغ ما يجمعه القلب ، ويصوغ ما
يمسكه اللب .

الصاحي بين السكرى ، كالحي بين الموتى ، يضحك من
عقلهم ، ويأكل من قلوبهم .

احق ما يكون السكران اذا تعاقل .

من طلب الري من الفرات لم يخش الظلم في ورده ، ومن
قصد الكريم برجائه لم يحاذر الخيبة في قصده .

من لم يتحرز من المكاييد قبل هجومها ، لم يعنه الاسف
عند وقوعها .

الناس بالذم اعلق ، وروائحه بالحفظ اعبق .

الاعتدال اعدل ، والطريق الوسط امثل .

الرأي اقومه احكمه ، واشده اسده .

رب اجتهاد ، ابلغ من جهاد ، ومكاييد دقيقة المسارب ،

انكى من حداد صقيلة المضارب ، ولطائف اقوال ، تنوب عن

وظائف اموال ، وثبات عقول وعقود ، اوقع من يات جيوش وجنود .

غش الكافي احمد من نصيح الناقص .

الثناء الجليل لسان المساعي ، والبشر الحسن عنوان المعالي .

الاحجام في موطنه كالاقدام في مواضعه ، والترك في ما كنه
كالأخذ في مواضعه .

الراحة حيث نعب الكرام اودع ، لكنها اوضع ، والقعود
حيث قام الاحرار اسهل ، لكنه اسفل .
الليدب من الایماء بكفيه ، والایحاء يغنيه ، واللفظة تجزيه ،
واللمحة تؤثر فيه .

السيد لا يروع القطيع بارضه ، والاسد لا يعدو على الفريسة
في ظله .

الوقوف في مدارج التهم ذنب عظيم ، والدخول في شهاب
الظن داء عقيم .

الطاعة سعيدة المطلع ، حميدة المرجع ، والعصيان ذميم
الفاتحة ، وخيم العاقبة .

الثعالب لا تجسر على اخياس الاسود ، والارانب لا
تقدم على اغيال اللبوث .

ان الجبال الشم ، والاطواد الصم ، لا تمال بحصبات القاذف ،
ولا تمال بجمرات الحاذف .

الرجل الحول من ثني ازمة الاعداء عن الشعناء ، الى

المودة والصفاء ، لا من حال الصديق ذا الاخاء ، الى حال
المجرة والبغضاء .

الاغفال لا تؤمن عواقبه ، بل تحذر مصايبه .
تجارة الافضال رابحة ، وصفقة الاحسان راجحة ،
الشمس تحيي نوراً ، ولكنها تقتل حراً ، والماء يروي ،
وقد بفيض فيردى .
خير الوعظ ما قضي بالارتداع ، قبل الايقاع ، وبالاتزجار ،
قبل الانكار .

اضطناع الاراذل ، وصمة في وجوه الافاضل .
لا بد للسرى على قمر ، وللربى من مطر .
هل يثبت التصنع الا بقدر الاستكشاف ، ويستقر
التعمل الاريث الاستشفاف .

لكل امر اجل ، ولكل وقت رجل .
عريسة الاسد ، ليست من اما كن النقد .
ما انتفع بعلم رجل لم يشفع بظنه ، ولا بفهم امرئ لم
يصب بوجهه .

طلوع الشمس في ضمان غروبها ، ومكاره الايام في

اعقاب محبوبها ، وعواري الليالي على شرف ارتجاعها ، وودائع
الدهر بعرض انتزاعها .

المكائبة نظام الصلة ، وقوام المقبة ، وملاك المسرة ،
وعماد المبرة .

دقيق علم النجوم لا يدرك ، وجليله كثير الكذب .

ملح وطرف من الفاظه

اخبرني عن سفرتك ، وعمّا حصل بها في سفرتك .
وجدت حراً يشبه قاب الصب ، ويذيب دماغ الضب .
انوب فيه نيابة الوكيل المكترى ، بل المملوك المشتوى .
قد تحملت مع يسير الفرقة ، عظيم الحرقه ، ومع قليل البعد ،
كثير الوجد .

عليّ أن اقول ، وما عليّ القبول .
لا اعترض بين الشمس والقمر ، والروض والمطر .
أكره أن أملّ ، وقد قصدت أن أجلّ . وأعق ، وقد
قصدت أن اقضي بالحق .

مرحباً بزائر لباسه حرير ، وانفاسه عبير ، زائر وجهه
وسيم ، وريحه نسيم ، وفضله جسيم .
فلان بين سكري الشباب والشراب .
غصن طلعه نضير ، وليس له نظير .
خط أحسن من عطفات الاصداع ، وبلاغة كالامل
آذن بالبلاغ .
فقر كما جيتت الرياض ، وفصول كما تغاللت المقل المراض .
القاط كما نوّرت الاشجار ، ومعان كما تنفست الاسحار .
نثر كثر الورد ، ونظم كنظم العقده .
كتابك رقيه القلب السليم ، وغرة العيش البهيم .
كلام بدخل على الاذن ، بلا اذن .
فلان كريم ملّ لباسه ، موفق مدّ أنفاسه ذو جد كعلو
الجد ، وهزل كحديقه الورد ، عشرته الطف من نسيم الشمال ،
على اديم الماء الزلال ، والصق بالقلب ، من علائق الحب .
شكره شكر الاسير لمن اطلقه ، والمملوك لمن اعتقه .
اثني عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد .
قلب نفل ، وصدر دغل

- وعده برق خآب ، وروغان ثعلب .
- فلان يتعلق باذيال المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير .
- وأما شيخنا ابو القاسم الزعفراني ابده الله فصورته لدي صورة الاخ ، أو وده ارمخ ، ومحله محل العم ، او اشتراكه اعم .
- وأما قصيدة ابي طاهر بن ابي الريع ، فاحسن من الريع ، وانها وثيقة الجزالة ، انيقة الاصاله ، تنطق عن ادب مهد الاسر ، شديد الازر ، وله عندنا اسلاف بر ارجو ان لا تبقى في ذمتنا حتى نقضيها ، فوعد الكريم ، الزم من دين الغريم .
- خط أبي الفرج يهر الطرف ، ويفوت الوصف ، ويجمع صحة الاقسام ، ويزيد في نخوة الاقلام .
- فلان اثقل من القدح الاول .
- هما خليطان من ماء الغمامة والخمر .
- دارك لي جنة ولكن بوابها مالك الجحيم .
- وطى ، النجم بقدمه ، وسبق القدر بتقدمه .
- نشط مولانا لتناول ما يستمد الانس ، ويستجلب البشر ، ويشرح الصدر .

ما يجمع شمل الاخوان ، ويفرق نوازع الاحزان « بكنى
بذلك عن اللهو والشراب »

النثر يطاير تطاير الشرر ، والنظم يبقى كالنقش في الحجر .
ريق العذول سم قاتل .

نبذ الكس ، يترك اذن الوسواس .

رب عذول في ظاهر اهل السم ، وباطن اهل السبت .
الخمر صابون الهم .

الراح كيمياء الافراح .

دماء الكرم للرجل الكريم .

وقال في عبد الصمد بن بابك : ولما ابن بابك ،

وكثرة غشيانه بابك ، فانما تغشى منازل الكرام ، والمنهل
العذب كثير الزحام .

خط كالقلل المراض ، والاقبال بعد الاعراض .

الفاظ ، كغمزات الالحاظ ، ومعان ، كأنها قلب عان ، استعارت

حلاوة العتاب ، بين الاحباب ، واسترقت تشاكي العشاق ، يوم الفراق .

الفاظ لها بين الهواء رفته ، ومن الماء سلاسته ، ومن

السحر نفثته ، ومن الشهد حلاوته .

- كلام كبرد الشباب ، وبرد الشراب
كلام يهدي الى القلوب روح الوصال ، ويهب على
النفوس هبوب الشمال .
الفاظ حسبتها لرقتها منسوخة من صحيفة الصبي ،
وظننتها لسلاستها مكتوبة من املاء الهوى .
كلام كما هب نسيم السحر ، على صفحات الزهر ،
ولذة طعم الكرى بعد نزح السهر .
كلام يقطر صرفاً ، ويمزج الراح لطفاً . كلام كنسيم
الصبا ، وعهد الصبي .
كلام هو سمر ، بلا سهر ، وصفو بلا كدر .
كتاب اوجب من الاعتداد ، واوفر من الاعداد ،
واودع بياض الوداد ، سواد الفؤاد .
كتاب انساني سماع الاغاني ، من مطربات الغواني .
كتاب رأيت فيه ساعة الاوبة على المسافر ، وبرد
الليل على المسامر .
كتاب شمته شم الولد . والصقته بالقلب والكبد .
كتاب مطلعاه مطلع اهلة الاعياد ، وموقعه نيل المراد .

وقال في شعر عضد الدولة : قرأت الابيات التي اسفر
عنها طبع المجد والقهاها بحر العلم على لسان الفضل ، فعلمت
كيف تنكسر الزهر على الحقائق ، وكيف يغرس الدر
في أرض المهارق .

تذكرت اياماً فتذكرت سحراً وسيماً ، وعيشاً
جسماً ، وراحاً وريحاناً ونعياً ، وخيراً عمياً ، وابتهاجاً
مقياً ، واياماً حسنة فكأنها أعراس ، وقصيرة فكأنها انفاس .

عن أبيه رحمه الله

توقيعاته

اهدى العميري قاضي قزوین الى صاحب كتباً وكتب معها:
العميري عبد كافي الكفاة ومن اعتد في وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب مفعلات من حسناتها مترعات
فوقع تحتها:

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات
لست استغنم الكثير فطبعي قول خذ ليس مذهبي قول هات
وكتب اليه بعض العلوية يخبر بانه رزق مولوداً ويسأله

ان يسميه ويكنيه فوق في رقعة : اسعدك الله بالفارس
الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قرة ،
والنفس مسرة مستقرة ، والاسم علي ليعلي الله ذكره ،
والكنية ابو الحسن ليحسن الله امره ، فاني أرجو له فضل
جده ، وسعادة جده ، وقد بعث لتعويذه ديناداً من مائة
مثقال ، قصدت به مقصد الفال ، رجاء ان يعيش مائة
عام ، ويخلص خلاص الذهب الابريز من نوب الايام والسلام .
وكتب اليه ابو منصور الجرجاني :

قل للوزير	الرتجي	كافي الكفاة	الملتجي
اني رزقت	ولداً	كالصبح	اذ تبلجا
لازال في	ظلك ظل	المكرمات	والحجي
فسه	وكنه	مشرقاً	مئوجاً
فوق تحتها :			

هشئة	هشئة	شمس الضحى	بدر الدجى
فسه	محسناً	وكنه	ابا الرجا

وكتب اليه اليه ابو حفص الوراق الاصبهاني : لولا
ان الذكرى اطل الله بقاء مولانا صاحب الجليل تنفع

المؤمنين ، وهزة الصمصام تعين المصلتين ، لما ذكرت ذاكراً ،
ولا هزرت ماضياً ، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل
النجاح ، ويكد الجواد السمع ، وحال عبد مولانا ادام الله
تأبده في الخنطة مختلفة ، وجردان داره عنها منصرفه ،
فان رأى ان يخلط عبده بمن اخصب رحله ، ولم يشد
رحله ، فعل ان شاء الله .

فوقع صاحب تحتها : احسنت ابا حفص قولاً ،
وسنحسن فعلاً ، فبشر جزدان دارك بالخصب ، وآمنها
من الجذب ، فالخنطة تأتيك في الاسبوع ، ولست عن
غيرها من النفقة بمنوع ، ان شاء الله تعالى .

وكتب بعض اصحاب صاحب رقعة اليه في حاجة
فوقع فيها ولما ودت اليه لم ير فيها توقيعاً وقد تواترت
الاخبار بوقوع التوقيع فيها فعرضها على ابى العباس الضبي
فما زال يتصفحها حتى عثر بالتوقيع وهو الف واحدة
وكان في الرقعة فان رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل
فأثبت صاحب أمام فعل الفايغني افعل .

وكتب بعض العمال رقعة الى صاحب في التماس شغل وفي

الرقعة ان رأي مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله فوق تحتها :
من كتب إشغالي لا يصلح لأشغالي .

ورفع الضرابون من دار الضرب قصة الى الصاحب في
ظلامه لهم مترجمة بالضرايين فوق تحتها : في حديد بارد .
و كتب انسان الى الصاحب رقعة وقد اثار فيها على رسائله
وسرق جملة من الفاظه فوق فيها : «هذه بضاعتنا ردت الينا» .
ووقع في رقعة استحسنها : «افسح هذا أم انتم لاتبصرون» .
ووقع في كتاب بعض مخالفيه : «ويل لهم مما كسبت
أيديهم وويل لهم مما يكسبون» .

ووقع في رقعة ابي محمد الخازن وكان ذهب مغاضباً ثم كتب
اليه يستأذنه في معاودة حضرته : «الم نربك فينا وليداً ولبثت
فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت» .

و كتب اليه ابو العباس الضبي يشفع بابي محمد الخازن فورد
اليه هذا التوقيع : ذكر مولاي ادام الله عزه عود ابي محمد
الخازن ايده الله للفناء الذي فيه درج ، والوكر الذي منه خرج ،
وقد علم الله ان اشفاقي عليه في اغترابه ، لم يكن باقل منه عند
ايابه ، فان احب ان يقيم مدبرة يقضي فيها وطر الغائب ، ويضع

معها اوزار الآيب ، فليكن في ظل من مولانا ظليل ، ورأي
منه جميل ، وبر من ديواننا جليل ، وان حفزه الشوق فرحبا بمن
قربته الترية لدينا ، فافسده العزة علينا ، وردته التجربة الينا ،
وسيله ان يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعينه على كل
ارتحاله ان شاء الله تعالى .

ووقع الصاحب في رقعة لابي الحسن الشقيقي البلخي : من
نظر لدينه نظرنا لدنياه فان آثرت العدل والتوحيد ، بسطنا لك
الفضل والتمهيد ، وان اتمت على الجبر ، فليس لكسرك من جبر .
ووقع في رقعة بعض خطاب الاعمال : التصرف لا يلتبس
بالتكفف ، ان احتجنا اليك صرفناك ، والا صرفناك .
ورفع اليه بعض منهي الاخبار ان رجلاً ممن ينطوي له على
غير الجميل يدخل داره في غمار الناس ثم بتلوم على استراق
السمع فوقع : دارنا هذه خان ، يدخلها من وفي ومن خان



امثلة من شعرة

الادب والفكر

وقائلة لم عرتك الهموم وامرك ممثّل في الامم
فقلت دعيني على غصتي فان الهموم بقدر الهم

لقد صدقوا والراقصات الى منى بان مودات العدا ليس تنفع
ولو انني داريت دهري حية اذا استمكنت يوماً من اللسع تلسع

اذا ادناك سلطان فزده من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان الا البحر عظما وقرب البحر محذور العواقب

كم نعمة عندك موفورة لله فاشكر يا ابن عباد
قم فالتمس زادك وهو النقي لن تسلك الطرق بلا زاد

حق العيادة يوم بعد يومين وجلسة مثل رد الطرف في العين
لا تبر من مريضاً في مساءلة يكفيك من ذاك تسأل بحرفين

الوصف

قال في الخمر :

رق الزجاج ورقّت الخمر فتشابهها فتشا كل الامر
فكأنه خمر ولا قدح وكأنها قدح ولا خمر

وقال :

وقهوة قد حضرت بختها فقلت لاندمان عند شها
لا تقبضن بالماء روح جسمها فحسبها ما شربت من كرمها

وقال :

متغايرات قد جعلن وكلها متشا كل اشباحها ارواح
واذا اردت مصرحاً تفسيرها فالراح والمصباح والتفاح
لو يعلم الساقى وقد جعلن لي من أي هذي تملأ الاقداح

وقال :

ولما بدا التفاح احمر دعوت بكأسي وهي ملأى من الشفق
وقلت لساقيا ادرها فانها خدود عذاري قد جعلن على طبق

وقال :

وكأس نقول العين عند جلائها أهل لحدود الغايات عصير ؟

تجاسمتها الا تعلل واصف وقد يطرب الانسان وهو كبير
وقال :

وصفراء او حمراء فهي مخيلة لرقتها الا على المتوهم
تشككنا في الكرم ان انتماء الى الخمر ام هاتا الى الكرم لننتهي
ومنها :

تتمتع ندمان بها واحدة وحظي منها ان اقول الا انعمي
لك الوصف دون القصص مني نخفي
بغير يدي وارضي بما قاله في

وقال يصف الثلج :

اقبل الثلج فانبسط للسرور ولشرب الكبير بعد الصغير
اقبل الجو في غلائل نور وتهادي بلؤلؤ مشور
فكان السماء صاهرت الارض فصار النثار من كافور
وقال :

هات المدامة يا غلام معجلا فالنفس في قيد الهوى مأسورة
او ماترى كانون ينثر ورده وكأنا الدنيا به كافوره
وقال :

هات المدامة يا غلام مصبرا نقلي عليها قبالة او عضه

او ما توى كانون بنثورده
وقال في الند :

ند لفخر الدولة استعماله
فيكأننا عجنوه من اخلاقه
وقال في حبة عنب :

وحبة من عنب
كأنها لؤلؤة
من المني متخذه
في وسطها زمرده

وقال :

وحبة من عنب قطفتها
كأنها من بعد تمييزي لها
وقال في التين :

تين يزين رواؤه مخبوره
عسل اللصاب لديه مما يجتوى
وكأنما هو في ذرى اغصانه
ويقول ذائقه لطيب مذاقه
وقال في الشمع :

ورائق القند مستحب
يجمع اوصاف كل صلب

صفرة لون وسكب دمع وذوب مجسم وحر قلب
وقال في الخط واللفظ :
بالله قل لي اقرطاس تخط به
بالله لفظك هذا سال من غسل
وقال في فلاة :

وتيهاء لم تطمئ بخف وحافر
معالمها ان لا معالم بينها
ولو قيل للغيث امقاما اهتدى لها
تجشمتها والليل وحف جناخه
وقال في الوحل :

اني ركبت وكف الارض كاتبة
فالا أرض محبرة والحبر من لثقي
وقال في الصدغ :

يا شادنا في صدغه عقرب
يسلم خداه على لدغها
وقال :

وعهدي بالعقارب حين تشترو
تخفف لدغها وتقل ضرا

فما بال الشتاء اتى وهذي عقارب صدغه تزداد شرا
وقال في العذار :

رأيت عليا في لباس جماله فشاهدت منه الروض ثاني مزنه
ولما تبدى لي امتداد عذاره رأيت طراز الله في ثوب حسنه
وقال :

ان كنت تنكره فالشمس تعرفه او كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ما جاءه الشر كي يمحو محاسنه وانما جاءه غمداً يغلفه
وقال :

دب العذار على ميدان وجته حتى اذا كاد ان يسعى به وقفا
كانه كاتب عز المداد له اراد يكسب لاما فابتدا الفا
وقال :

عذار كالطراز على الطراز وشمس في الحقيقة لا الهماز
تبدى عارضاه فعارضاني وقال لا تمر بلا جواز
فقلت القلب عندكم مقيم وما حسن الثياب بلا طراز
وقال :

انظر اليه كأنه شمس وبدر حين اشرف
والحظ محاسن خده تعذر دموعي حين تذرف

فكأنها الواوات حية ن يخطها قلم محرف
وقال :

ابو نصر بن بكران مليح الحد والخط
فهذا النمل في العاج وذاك الدر في السمط
وقال :

ان لبس السواد اقوى دليل لامير يلي امور العباد
وامير الملاح يأتيه عزل حين تلقاه لابسا للسواد
وقال في الخط :

وخط كأن الله قال لحسنه تشبه بمن قد خطك اليوم فأمّر
وهيئات ابن الخط من حسن وجهه

واين ظلام الليل من صفحة القمر
واتي صاحب بغيام مثاقف فلعب بين يديه فاستحسن صورته
واعجب بمثاقفته فقال لاصحابه قولوا في وصفه فلم يصنعوا شيئا
فقال :

ومثاقف في غاية الحذق فاق حسان الغرب والشرق
شبهته والسيف في كفه بالبدر اذ يلعب بالبرق
وقال في الشيب :

نقول يوماً جبذا ما بالها قد عرضتني عند شبيبي للاذى
نقول محقاً بعد ان كانت وكـ ت كل عينها فصرت كالقذى

الغزل

نسحب ما اردت على الصباح فهم ايل وانت اخو الصباح
لقد اولاك ربك كل حسن وقد ولاك مملكة الملاح
وبعد فليس يحضرني شراب فانعم من رضاك لي براح
وليس لدي نقل فارتني بنقل من ثناياك الوضاح
وقال :

لا ترجوا اصلاح قلبي بلوم حلف الجفن لا استقل بنوم
وهواه لئن تأخر عني طول يومي اني سيحضر يومي
وقال :

علي كالغزال و كالغزاله رأيت به هلالا في غلاله
كأن بياض غرته رشاد كأن سواد طرته ضلاله
كأن الله ارسله نبيا وصير حسنه اقوى دلالة
اذا ما زدت وصلازدت خيلا كان حبال وصلاك لى خباله

وقال :

هذا علي علي في محاسنه
وكم اقول قد ابصرت طلعه
كأنما وصفه ان يبلغ الاملا
هذا الذي في طراز الله قد عملا

وقال :

قل لابي القاسم ان جئته
كل جمال فائق رائق
هنيئ ما اعطيت هنيئته
انت برغم البدر اونئته

وقال :

قل لابي القاسم الحسيني
البدر زين السماء حسنا
يا نار قلبي ونور عيني
وانت زين لكل زين

وقال :

ومفهف يغني عن القمر
خالسته نفاح وجنته
قمر الفؤاد بفاتن النظر
من غير ابقاء ولا حذر
فاخافني قوم فقلت لهم
«لا قطع في ثمر ولا كثر»

وقال :

الحب سكر خماره التلف
عابوه اذ لج في تصلفه
يحسن فيه الذبول والذنف
والحسن ثوب طرازه الصلف

وقال :

وشادن يكثر من قول لا اوقع قلبي في ضروب البلا
قلت وقد تيمني طرفه هذا هو السحر والا فلا
وقال :

وشادن ذي غنج طاوي الحشا معتدل
انشدته شعراً بدي ما حسناً من عملي
فقال فيمن ولمن فقلت هذا فيك لي
فطار في وجنته شعاع نار الخجل
وقال :

قد قلت لما مرّ يخطر ماشيا والناس بين معوذ أو عاشق
لم يكف ما صنعت شقائق خده حتى تلبس حلة بشقائق
وقال :

دعني عيناك نحو الصبا دعاء يكرر في كل ساعه
ولولا ثقام عهد الصبا لقلت لعينيك سمعاً وطاعه
وقال :

شمت من تيمني مغالطاً لا صرف العاذل عن لجاجته
فقال لما وقع البزاز في الك وب علمنا انه من حاجته
وقال :

يا قمرًا عارضني على وجل وصاله يشبه تأخير الاجل
وقال تبغي قبلة على عجل قلت أجل ثم أجل ثم أجل
وقال :

وشادن في الحسن كالطاوس اخلاقه كليلة العروس
قد نال بالخط من النفوس مالم تنله الروم من طرسوس
وقال :

بدا لنا كالبدر في شروقه يشكو غزالاً لج في عقوقه
يا عجبا والدهر في طروقه من عاشق أحسن من معشوقه
وقال :

عزمت على الفصد ياسيدي لفضل دم كظاني مؤلم
فلما تأخرت عن مجلسي اركت لغير اقتصاد دمي
وقال :

ومنهف شكل المجون اضنى فؤادي بالفنون
فنسيمه ملّ الانو ف وحسنه ملّ العيون
وقال :

فمن كان يقطف ورد الجنا ن فقطني مذ كنت ورد الخدود
وهي مذ كنت در الثغو را اذا أهتم غيري بدر العقود

وقال :

كنا واسباب الهوى متفقه
فلا آن اذ اسبابه مفترقه
نبتاً من الورد معافي ورقه
قد صارت الارض علينا حلقه

وقال :

يا خاطرا يخطر في نيه
ان لم تكن اثر من ناظري
ذكرك موقوف على خاطري
عندى فلا تمتع بالناظر

وقال :

تأخرت عني والغرام غريم
واوهمتني سقماً وانت مصحح
وما شئت لم تخط وصلاً بهجرة
ففي الدهر كلف ان يفرق انه
ومامل قرب الاكرمين كريم
بلى لك عهد كيف شئت سقيم
كما شيب بلقاء الزلال حميم
وصي ظلوم والكريم يتيم

وقال

ومفهم حسن الشمايل اهيف
ما زال يبعدني ويؤثر هجرتي
قالوا تراجعهم فقلت بديهه
والله لا راجعته ولو انه
تردى النفوس بفترتي عينيه
فجذبت قلبي من اسار بديه
قولا اقيم مع الروي عليه
كالشمس او كالبدر او كبويه

وقال :

ولم اخلع عذارى فيك الا
وكم ابصرت من حسن ولكن
وقال ويروي لغيره :

رشأغدا وجدى عليه كرده
وكان يوم وصاله من وجهه
ان ذقت خمرأ خلتها من ريقه
واذا تكبر واستطال بحسنه
وقال في صباح الحاجب :

خداه ورد وصدغه سيج
ان هز اطرافه على نغم
وجملة القول في محاسنه
وقال :

وشادن قلت له ما اسمك
فصرت من لثغته الثغاب
وقال :

لقد قلت لما اتوا بالطبيب
وداوى فلم انتفع بالدوا
وصادفني في احمر الالبيب
دعوني فان طيبي حبيبي

ولست أريد طيب الجسو م ولكن أريد طيب القلوب
وليس يزيل سقامي سوى حضور الحبيب وبعد الرقيب

ملح من اخوانياته

كتب الى ابي الفضل بن شعيب :

يا ابا الفضل لم تأخرت عنا فاسأنا بحسن عهدك ظنا
كم تمننت نفسي صديقاً صدوقاً فاذا انت ذلك المتمنى
فبغضن الشباب لما تننى وبعد الصبا وان بان منا
كن جوابي اذا قرأت كتابي لا ثقل للرسول كان وكنا

وكتب الى ابي بكر الخوارزمي :

اسعدك الله بيوم النصح وعشت ماشئت بيوم سمح
يا رأس مالي في الوري وربحي وظفري ونصرتي ونجحي
شربا ولا تصغ لاهل النصح فالحزم ان تسكر قبل نصحي

سكر النصارى في غداة الفصح

وكتب الى ابي القاسم القاشاني :

يا ابا القاسم قل لي قل لماذا لا تزور
كنت قد قدمت وعداً فاذا وعدك زور

ل فلم تزك البزور
ر كما يهدى الجزور
لمقلاة نزور

وبذرت الود بالقو
ونحرت الود بالهجو
ان ام الصدق في الود
وكتب اليه ايضاً :

دك عندك احضار المدام
متبسطاً وقت الطعام
م حين صار الى الطعام
ت الى الغلامه والغلام
م فكيف تبخل بالكلام
فاسمح علينا بالسلام

مولاي لم لم تدع عب
اعرفته من بينهم
ام قيل عربد ذات يو
ام لم يساعد حين ما
ان كنت تبخل بالطعا
لسنا نحاول دعوة
وقال :

سطين قد خطا بلا كاتب
وحب مولاي ابي طالب

لو فتشوا قلبي رأوا وسطه
حب علي بن ابي طالب
وقال :

كن شفيعي الى فتى مسرور
فتصدق بها على المهجور
وكتب الى ابي العلاء الاسدي يكني عن الجرب :

يا ابن يعقوب يا نقيب البدور
قل له ان لا جمال زكاة

ابا العلا يا هلال الهزل والجد
وباطن الجسم غر مثل ظاهره
وقال في انفاذ الحلواء :

حلاوة حبك يا سيدي
وقال :

قولوا لاخواننا جميعاً
من لم يعدنا اذا مرضنا
وقال لمحمود التاجر :

طوبت محموداً على جفونه
قدونه بقلق من علي
لم يأت بابي لا ولا مربى
من لم يطالعني على علي
وقال للقاضي ابي بشر الجرجاني :

يصد الفضل عنا أي صد
فقلت له جعلت العين واوا
وقال :

بعدت فطعم العيش عندي علم
ووجه حياتي مذ تغبت ارقم

فمالك قد ادغمت قربك في النوى وودك في غير النداء مرخم
وكتب ابو هاشم العلوي الطبري الى صاحب :
دعوت اله الناس شهراً محرماً ليدفع سقم الصاحب المتفضل
الى بدني او مهجتي فاستجاب لي فيها انا مولانا من السقم ممثلي
فشكر الربى حين حول سقمه اليّ وعافاه ببرء معجل
وأسأل ربي ان يديم علاءه فليس سواء مفزع لبني ثلي
فاجابه الصاحب :

ابا هاشم لم ارض هاتيك دعوة وان صدرت عن مخلص متطول
فلا عيش لي حتى تدوم مسلماً وصرف الليالي عن ذراك بمعزل
فان نزلت يوماً بجسمك علة وحاشاك فيها يا علاء بني على
فناد بها في الحال غير مؤخر الى جسم اسمعيل دوني تحوّل
وقال مجيباً على قصيدة :
عناني من الهم ما قد عناني فاعطيت صرف الليالي عناني
الفت الدموع وعفت الهجوع فعيناي عينان نضاختان
ومنها :

انتني بالامس أبيانته تعلل روجي بروج الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراپ وظلل الامان ونيل الاماني

وعهد الصبي ونسيم الصبا وصفو الدنان ورجع القيان
فلو ان الفاظه جسمت لكانت عقود نهور الفواني
فياليت عمري في عمره يزداد ولو انه حقتان
اجبت عن الشعر مسترسلا بطبع شجاع وقلب جبان
ولولا سكوني الى فضله قبضت بناني بقبضي لساني

المديح

قال من قصيدة في عضد الدولة :

سعود يحار المشتري في طريقها ولا تنأى في حساب المنجم
وكم عالم احييت من بعد عالم على حين صاروا كالمشيم المحطم
فوالله لولا الله قال لك الوري مقال النصارى في المسيح ابن مريم
محامد لو فضت ففاضت على الوري لما ابصرت عيناك وجه مذم
وكلاولكن لو حظوا بزكاتها لما سمعت اذناك ذكر ملوم
ولو قلت ان الله لم يخلق الوري لغيرك لم اخرج ولم اتأثم
وقال من أخرى :

همام رأى الدنيا سواما خاطها ليالي في غير الزمان وقور ؟
ولم يخطب الدنيا احتفالا بقدرها فوقعها من راحتيه يسير

ولكن له طبع الى الخير سابق
وان لم يلاحظهم بعين حمية
ورأي باناء الرجال بصير
فتلك امور لا تزال تمور
ومن اخرى :

يا ايها الملك الذي كل الوري
فمناصح قد فاز سهم طلابه
قسمان بين رجائه وحذاره
ومداهن قد جال قدح بواره
هذي بخاري تشكي الم الصدى
ماذا عليه لو يهم بعرصتي
وكتب الى مؤيد الدولة ابي منصور :

سعادة ما نالها قط احد
مؤيد الدولة وابن ركنها
يحوزها المولى الهام المعتمد
وابن اخي معزها اخو العضد
وقال في نخر الدولة وقد افتصد :

يا ايها الشمس الا ان طلعتها
لما افتصدت قضينا للعلا عجبا
فوق السماء وهذا حين يقصد
وما حسبت ذراع الشمس يفتصد
وقال فيه لما بنى قصره بجرجان :

يا بانيا للقصر بل للعلا
لم تبني هذا القصر بل صفته
همك والفرقد سيان
تاجا على مفرق جرجان
وقصرك المبني من قلعه
ملكك والله هو الباني

فأقبل نثار العبد بل نظمه
واسمع مقالا لم يقل مثله
لو كان للخلق آلهان
وقال :

هذي المكارم والعليا تفتخر
يوم نبسم عنه الدهر واجتمعت
حتى كأننا نرى في كل ملتفت
لما تجلى عن الآمال مشرقة
وإني على غير ميعاد يبشرنا
أهنا المسرات ما جاءت مفاجأة
لو أن بشري تلقى بموردها
وما تعنف من يسخو بمهجة
فما غدوت وما للعين منقلب
ثنت مهابتك الإبصار حاسرة
إذا تأملتهم غصوا وإن نظروا
في ملبس ما رأته عين معترض
البسته منك نوراً يستضاء به

فانه والدر مثلان
مذ كانت الدنيا لأنسان
لكان نحر الدولة الثاني
يوم مآثرة ساعاته غرر
له السعود واغضت دونه الغير
روضا تفتح في اثنائه الزهر
قال العلي بك استعلي واقتدر
بان ستبعه أمثاله الآخر
وما تناجت بها الالفاظ والفكر
لأقبلت نحوها الأرواح تبتدر
فان يومك هذا وحده عمر
الا الى منظر يبهي ويحتبر
حتى تبين في الحاظها خزر
خلال ذاك فادنى لفقة نظروا
فشك في أنه اخلاقك الزهر
كما أضاء ضواحي مونه القمر

وقد تقلدت عضباً أنت مضر به وعنك يأخذ ما يأتي وما يذر
ما زال يزداد من اشراق غرته زهرا ويشرق فيه التيه والاشر
والشمس تحس طرقاتك راكبه حتى تكاد من الافلاك تنحدر
حتى لقد خلت ان الشمس ازعجها شوق فظلت على عطفيه تنتثر
وقال في بني المنجم :

لبنى المنجم فطنة لهبيه ومحاسن عربية عجميه
مازلت أمدحهم وانشر فضلمهم حتى اتهمت بشدة العصبية
وقال في ابي هاشم العلوي الطبري :

ان ابا هاشم يد الشرف مادحه آمن من السرف
حل من المحدث في اواسطه وخلف العالمين في طرف^(١)
* * *

الهجاء

قال في ابن متويه :

يا فتى متوي رفقاً لست من ينكر اصله
انما ينكر منه من جنوب فيه ثقله

(١) انظر ص ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ من هذا الكتاب فهناك مدائح قالها صاحب
في ابن العميد كما ان تفاريق من شعره وشعره وردت في اثناء الكتاب
لاقتضاء المحل فلم ار حاجة لاعادة نقلها في الفصلين المعقودين لنثره وشعره .

انت نذل من كرام انت في الطاوس رجله
وقال :

ابوك ابو علي ذوعلاء اذا عد الكرام وانت نجله
وان اباك اذ تعزى اليه لكالطاوس يقبح منه رجله
وقال :

احمد هذا سبط متويه في موته بعد غد تهنيه
والشان في اني على بغضه احتاج أن أقعد للتعزیه
وقال :

سبط متوي ان دارك دار قد عرفت الادبار اذ تبنيها
لا نكثر تزويقها وترفق عن قليل يكون قبرك فيها
وقال فيه :

كلما زدت عتاباً زدت في هجوك بيتا
أو ترى طبعي غيضاً او اری جسمك مبتا
وقال في الغويري :

ان الغويري له نكهة تنتها اربت على الكنف
يالته كان بلا نكهة أوليتني كنت بلا انف
وقال فيه أيضاً :

فم الغويري اذا فقتشه أتنن فم
كم قلت اذ كلني وآسني على الحشم
وقال :

ان قاضينا لاعمي ام على عمد نعامي
سرق العبد كأننا عبد من مال اليتامي
وقال :

يا قاضيا بات اعمى عن الهلال السعيد
افطرت في رمضان وصمت في يوم عيد
وقال :

رأيت لبعض الناس فضلا اذا انتى بقصر عنه فضل عيسى بن مريم
عزوه الى تسع وتسعين والدا؟ وليس لعيسى والد حين ينشئ
وقال :

مطفل اطفل من اشعب مازال محروماً ومذموماً
لو انه جاء الى مالك لقال اطعمني زقوما
وقال :

انظر الى وجه ابي زيد او حش من حبس ومن قيد
وحوشه ترتع في ثوبه وظفره يركب للصيد

وقال في رجل كثير الشرب بطي السكر :

يقال لماذا ليس يسكر بعد ما نوات عليه من نداماه قرقف
فقلت سبيل الخمر ان تنقص الحجى فان لم تجد عقلا فماذا تحيف ؟

وقال :

نبئت انك منشد ما قلته في سب عرضك لا تخاف وعيدي
والكلب لا يخزي اذا اخسأته والقار لا يخشى من التسويد
وقال :

تزلزلت الارض زلزالها فقلوا باجمعهم ما لها ؟
مشى ذا الثقليل على ظهرها فاخرجت الارض اثقالها
وقال :

وناصح اسرف في النكير يقول لي سدت بلا نظير
فكيف صغت الهجو في حقير مقداره اقل من تقير
فقلت لا تنكر وكن عذيري كم صارم جرّب في خنزير
وقال :

ايا اقبح في المنظر ر من دب على غول
ويا اسمع من طلع ة شيطان على فيل
وقال فيمن زج أمه :

زوجت امك يا فتى وكسوتني ثوب القلق
والحر لا يهدي اللحوم م الى الرجال على طبق

متفرقات

قال في مرض علوي :

يا سيداً افديه عند شكاته بالنفس والولد الاعز وبالاب
لم لا ابيت على الفراش مسهداً وقد اشتكى عضو من اعضاء النبي
وقال في الشيب :

نصد اميمة لما رأته مشياً على عارضي قد فرش
فقلت لها الشيب نقش الشبا ب فقالت الا ليته ما نقش
وقال :

ولما تناءت بالاحبة دراهم وصرنا جميعاً من عيان الى وهم
تمكن مني الشوق غير مسامح كعنز لي قد تمكن من خصم
وقال :

كنت دهرأقول بالامتطاعه وارى الجبر ضلة وشناعه
ففقدت استطاعتي في هوى ظبي فسمعاً للمجبرين وطاعه
وقال في شهر رمضان :

قد تعدوا على الصيام وقالوا
كذبوا في الصيام للمرء مها
موقف بالنهار غير مريب
وقال :

راسلت من احواء اطلب زورة
فاجبته والقلب يخفق صبوة
صم ان اردت تخرجاً وتعففاً
اولا فزرنى والظلام مجلل
وقال يرثي ابا الحسن السلمي :

اذا مانع الناعون اهل مودتي
نعوامهجة السلمي وهي سلامة
وقال يرثي ابا منصور كثير بن احمد :

يقولون لي اودي كثير بن احمد
فقلت دعوني والعلانبة معاً
وقال :

يا اهل سارية السلام عليكم
حتى غدا الفأفاء يخطب فيكم
قد قلّ في ارضيكم الخطباء
ومن العجائب خاطب فأفاء

وقال في اخوين صبيح وقبيح :
يحيى حكي المحبا ولكن له اخ حكي وجه ابي يحيى^(١)
وجمع اسماء قداح الميسر في قوله :

ان القداح امرها عجيب الفذ والتوأم والرقيب
والجلس ثم النفس المصيب والمصفح المشتهر النجيب
ثم المعلى حظه الترغيب هالك فقد جاء بها الترتيب
وقال :

دارك لي جنة ولكن بوابها مالك الجحيم
وقال :

ومغن يتغنى بطعام وشراب
فاذا رمنا سكوتا فبال وثياب

قال القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني
انصرفت يوماً من دار الصاحب وذلك قبل العيد فجاءني رسوله
بعطر الفطر ورقعة مكتوب فيها :

يا ايها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
اهدبت عطرأ مثل طيب ثنائه فكأنما اهدي له اخلاقه

(١) بكنى عن الموت بالي يحيى .

وكتب الصاحب الى ابي هاشم العلوي وقد أهدى اليه يوم
اضحى عطراً في طبق فضة :

اقبل من الطيب الذي اهديته ما يسرق العطار من اخلاقك
والظرف يوجب اخذه مع ظرفه فأضف به طبقاً الى اطباقك

وورد ابو حفص الشهرزوري على الصاحب وكان في بصره
سوء وقدمه اليه بعض كتابه فقال له الصاحب مداعباً :

وكانت جاءنا باعماً لم يحو علماً ولا نفاذا
فقلت للحاضرين كفوا فقلب هذا كعين هذا

وقال يتشوق الى اصبهان :

يا اصبهان سقيت الفيث عن كشب فانت مجمع ابطاري واوطاني
والله والله ما انسيت برك بي ولو تمكنت من اقصى خراسان
يا حبذا ارضها والشملى مجتمع والدهر ما خائني في حزب اخواني
ذكرت ديمرت اذ طاب الغناء بها يا بعد ديمرت من ابواب جرجان

الفهرس

الصاحب ابن عباد

صفحة		صفحة	
٦٢	جلالة قدره	٣	نسبه
٦٧	رضاه عن نفسه	٥	مولده وموطنه
٧٠	حبه للعرب وبغضه للشعوية	٥	نشأته
٧٣	ما اخذ عليه في اخلاقه وسيرته	٧	عند ابن العميد
٨٦	اخباره	١٣	عند مؤيد الدولة
١٠٣	علمه وادبه	٣٤	عند فخر الدولة
١١٤	كتبه	٤١	وفاته
١٢٩	اسلوبه وخصائصه	٤٩	صفته واخلاقه
١٥٨	شعره	٥١	مذهبه
١٦١	نصوص من كلامه	٥٦	كرمه
٢٢٥	امثلة من شعره	٦٠	مكارم اخلاقه

جدول الخطأ والصواب

خطأ	صواب	سطر	صفحة
على ابي الفتح ثم	على ابي الفتح في السابع من شهر ١٢		٢٣
	ربيع الآخر سنة ٣٦٦ ثم		
عضد لدولة	عضد الدولة	٦	٢٥
س في	سرفى	١٢	٢٧
ان	ادن	١	٣٢
بلعك	بلغك	١٤	٣٤
وقال	قال	٩	٤١
ذريه	دزبه	١٢	٤٨
ابن بي خالد	ابن ابي خالد	٢	٧٧
ومساكي	وامساكي	١٥	٨٠
بمخزوى	بمخزوى	١٧	٨٧
متع	فتح	١٣	١٢٩
لا الاقرار	الا الاقرار	٨	١٥٧
قي	في	٦	١٦٤

خطأ	صواب	سطر	صفحة
لدهر	الدهر	١١	١٦٨
قول	اقول	١٢	١٧٠
الطريق	الطريق	١٦	١٦٥
يحملها	يحملها	١	١٩٩
تشوقت	تشوقت	١٦	٢٠٠
قلبه	وقلبه	٣	٢٠٢
فم	فما	١٤	٢٠٢
وامله أملك	امله واملك	١٠	٢٠٥
المطال	المطالب	٧	٢٠٦
تعريض الشرود	تعريض النعم للشرود	١٤	٢٠٨
الايجاز	الايجاز	٤	٢١٠
على قر	من قر	١٠	٢١٤
ديناراً	ديناراً	٥	٢٢١
الرنجى	المرتجى	٩	٢٢١
ودت	وردت	١٢	٢٢٢
العزة	الغرة	٣	٢٢٤

خطاً	صواب	سطر	صفحة
مصبِرا	مصبِرا	۱۷	۲۲۷
جناخه	جناحه	۹	۲۲۹
مثل	مثل	۱۰	۲۴۰